صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك
ص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الحادى عشر « القاهرة فى يوم الخميس ٢٢ صفر سنة ١٣٥٢ — ١٥ يونية سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العدد

صفحة

من بريد الرسالة

جواب الآنسة حياة

وكتاب آخر فرنسى اللغة ، أنيق الشكل ، جيد الخط ، رائق الأسلوب ، هادىء البيان ، أتانا من الآنسة حياة !! فعجبت من اصرار هذا اللسان الأجنبي على التدخل الفضولى بين لسانين عربيين ! ولكنى لم أكد أسير فى قراءته حتى تساير عن نفسى العجب ، وتراجع عن وجهي القطوب ، واتضح فى ذهنى العذر ، وملكتنى سورة من الحنق المر على نظمنا التربوية والتعليمية التى شوهت فى النشء عواطف الجنسية ، وشتتت فى الشعب معاني الوحدة ، وأخفقت كل الاخفاق فى تكوين أمة واحدة النزعة والوجهة والثقافة .

تقول الآنسة الفاضلة : « ... نعيت على أنى كتبت اليك بالفرنسية ، والسبب فى ذلك بعيد كل البعد عن التظرف والحذلقة (Pédantrie) والله يعلم وصواحبي يشهدن بما كان بينى وبين الراهبات المعلمات من الجدل العنيف كلما تعرضن لديننا بالغمز ، أو لتاريخنا بالعبث ، أو للغتنا بالزراية . . إنما أنا ومثيلاتى ضحية من ضحايا نظام مدرسى لم يقم إلا لتعليم الفتى (ميكانيكية) الحكومة . لأن قيامه لهذه الغاية جعل من طبيعته اغفال أمر البنت ، فلجأبها أولياؤها إلى المدارس الأجنبية ، فنشأت هذه النشأة البتراء المشوبة ، لاتعرف عن دينها إلا الشبه ، ولا من لغتها وأدبها غير القشور .

لو كنت كتبت اليك بعربيتي لحسبتني طفلة تجمجم بالكلام ولا تبين! ويكون من وراء ذلك انك لاتفهمني ولا تفهم عنى ، فكتبت اليك بالفرنسية لأن الانسان يميل بطبعه الى جهة القدرة لا الى جهة العجز ، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص ، ولئن تعرضت بذلك الى غضبك ، فقد نجوت ولله الحمد من سخرك . وسخطك على أحب الى كرامتي من استخفافك بي .

ما كان أسعدني لو ملكت من لغتنا ما تملك فترجمت عن نفسى بمثل ما ترجمت عنى فى الفقرات التى نشرتها من كتابى !! ....

أنا الآن أعالج فى نفسى هذا النقص بالدرس المستمر لآداب العربية ، وتكاد (الرسالة) ان تكون الوسيلة الوحيدة لهذا الدرس ، فأنا استوعب ابوابها المختلفة ، وأتذوق اساليبها المتنوعة ، ويخيل الى انى قطعت الى غايتي مرحلة كبيرة . ولكني أجد فى (الرسالة) نفسها ان زعماء الكتاب لايزالون ينتقدون زعماء الكتاب فى مبادىء النحو وبسائط التراكيب !! فليت شعرى أأقنط من دراستي أم أستمر ؟ ؟ .....

والآنسة الفاضلة تسمح لى أن اقف هنا فى ترجمة كتابها لأعجل بالنصيحة لها ان تستمر ، فان العربية لاطراد قواعدها فى القياس، واتفاق تراكيبها مع الطبع ، ابسط اللغات نحوا واقربها غاية . ولكن آفتها ياسيدتى منهاج سىء ، ومعلم عاجز ، وتلميذ كسول !! وستقرئين فى الرسالة بعد صفحات من هذه المقالة بحثا قيما فى ثقافة المرأة للآنسة أسماء ، وشعرا منثورا فى التصوف للآنسة ناهد ، فتجدين فى صياغتهما الحسنة ، وعبارتهما الصحيحة ، واسلوبهما الرقيق ، مشجعا لك ومصدقا لى . .

جواب الآنسة عفيفة

أجابت الآنسة عفيفة عن تعليقي الموجز بكتاب انكليزى مسهب ، وقد فضلت ان تكتب جوابها بالانكليزية لأنها تتهم بيانها العربي بالقصور لقرب عهدها بالكتابة ، وتعتقد لذلك اننا اسأنا الفهم فأسأنا الاجابة ، وبيان الآنسة سليم من القصور ، برىء من العى ، لاننا فهمناه على الوجه الذى ارادته . وهو رسالة غزلية الى امرأة عن لسان رجل . اما القصد من اتخاذ الآنسة (دور) الرجل فى موضوع غرامى — وهذا موضع الانكار — فلم تذكره الكاتبة فى حاشية الكتاب ، ولم نفهمه نحن من طبيعة الشىء ، فحملناه معذورين على العبث الذى نربأ بفتياتنا عنه .

أرادت الآنسة أن تكشف اليوم عن ذلك القصد فى هذا الجواب ،فقالت: انها لم ترد أن تتحدث عن الحب ، وإنما قصدت أن تضع نموذجاً للرسائل الغرامية فى اللغة العربية يكون مبنيا على الشعور الصادق والمنطق السليم ،لأنها تلقت رسالتين : واحدة من صديقة انكليزية ، وأخرى من صديقة مصرية ، فوجدت الأولى صورة صادقة لحياة الكاتبة،وحال البيئة،وروح الجماعة ،من العاب وأصحاب ودرس ، ولم تجد فى الثانية إلا عواطف مبهمة ، وجملا مزورة ،وأمثالا محفوظة . ثم قرأتْ كتابين أحدهما للكاتبة (جين وبستر) وثانيهما للكاتب (سليم عبد الاحد) وموضوعهما «رسائل فى الحب» ، فوجدت الفرق بين هذين الكتابين ، هو الفرق بين تينك الرسالتين

وانا أحترم تفسير الآنسة الادبية لقصدها وأسلمه من غير مناقشة ، وأعتذر اليها اذن من نقد فى غير محله ، ولوم وجهته الى غير أهله . ثم أستميح سيدتى الاذن بمناقشة هذه الطريقة من حيث الفن . إنك تنتقدين ماقرأت من الرسائل العربية ، لأنها تصدر من اللسان لا من القلب ، وتنقل عن الحافظة لا عن الطبع ، فهل تعتقدين أنك صدقت في نقل شعور العاشق حينما أخذت (دوره) فى رسالتك وأنت لاتحسين هذا الشعور ولا تدركين كنهه ؟ لعلك لو كنت أخذت (دور) الحبيبة أو (دور) (الخطيبة) لكنت أقرب إلى الصدق وادنى إلى الاجادة ، على ان هذه النماذج المصنوعة ياسيدتى أعجز من أن تعير الجامد روحاً والبليد حسا والعيي ابانة ، ان الفكرة او العاطفة اذا اشرقت فى الذهن أو فى النفس وجدت الكلمة وخلقت الصورة على غير مثال ولا قاعدة ، ذلك لان الشعور وحده يوجد الفن كما ترين في توفيق الحكيم ، ولكن الفن وحده لا يوجد الشعور كما ترين فى عبد الاحد . وان في الأدب العربي الحديث طرفة من هذا النوع الذي تريدين، هى آية من آيات الفنّ فى دقة الصنعة ، ولعلها لا تقل جمالا عن تماثيل فدياس وصور رفائيل ، ولكنها كهذه التماثيل وتلك الصور ينقصها شيء واحد هو كل شيء : ذلك هو الروح !!

هل قرأت (رسائل الورد) للاستاذ الرافعى ؟ ارجو ان تقرئيها ، وان تكتبي إلى رأيك فيها . . .

احمد حسن الزيات

من طه الى هيكل (١)

أخي العزيز:

قرأت كتابك الممتع الذى تنشره الرساله اليوم وستنشره السياسة بعد غد وسيقرؤه الناس مرتين، فأذن لى فى ان اشكر لك هذا الكتاب اجمل الشكر لأنه راقنى حقاً، وأثار في نفسى من حبك، والاعجاب الشديد ببراعتك ولباقتك، ماتثيره آثارك الأدبية كلها فى نفسى حين أقرؤها، وأأذن لى فى أن أعود فأثني عليك لأني لن أتعب من الثناء عليك، ولن يعنينى أن أدهشك أو أخجلك، انى لم اتعود قط ان احفل بدهشك أو خجلك، وانما تعودت أن اقول الحق سواء على أأرضاك حتى انتهى بك الى الخجل، أم أسخطك حتى انتهى بك إلى الثورة، أو إلى غضب هادىء فيه مكر، هو أشد من الثورة وأحد. فاخجل ياصديقي ما وسعك الخجل، وادهش ياصديقي ماوسعك الدهش، واغضب ياصديقي ما استطعت احتمال الغضب، فانت كاتب بارع، وأديب فذ كثير الانتاج كأنك الجني، قد أخذت تحب الاعلان بعض الشيء فى هذه الايام حتى انك لتنشر ردك على مرتين. وفيك اسراع الى الحكم وفتور عن البحث ورغبة عن الاستقصاء تضطرك احيانا الى الخطا وتصرفك احيانا عن الحق. وفى اسلوبك الرائع البارع وبيانك الفائق الرائق شيء من الضعف يقربه احيانا من الابتذال. ويخيل الى أيها الصديق العزيز ان هذه الملاحظة وحدها هى التى آلمتك بين الملاحظات الاخرى التي اخذت بها كتابك ثورة الادب، فأذن لى فى أن أصر عليها والح فيها. وأذن لى فى ان أصر ايضا على كل رأى فيك لا اغير منه حرفاً ولا انقص منه شيئا. فانت تجيد حتى تصل الي الابداع، وتضعف حتى تشرف على الابتذال. ولك ان تلومني ما شئت لأنى لم اهدك الى مواضع الضعف فى اسلوبك فقد يئست من هدايتك لانك كما تقول محب لاسلوبك كما هو، مشغوف به على علاته، لاتريد ان تغيره ولا أن تصلح مواضع النقص فيه، وكل ما اخشاه ايها الصديق أنما هو ان تتهمنى بالاسراف عليك والغلو فى نقدك، وقد كنت هممت أن اضرب الامثال من ثورة الادب لضعف اسلوبك فيه احيانا، ولكنى

« البقية على صفحة ٤٢ »

(١) رد على كتاب الدكتور هيكل المنشور فى هذا العدد صفحة ٣٨

الى الاستاذ توفيق الحكيم

من الدكتور طه حسين

سيدى الاستاذ

لست أدرى أيعنيني حقاً ويعني أصحابى، ان نعرف رأى الجيل الجديد فى جهدنا الأدبى وما أحدثنا من اثر فى حياتنا الأدبية الجديدة. لأن العلم الصحيح برأى المعاصرين لاسبيل اليه، أو لاتكاد توجد السبيل التى توصل اليه. أو قل ان هذا الجيل الجديد نفسه قد يشق عليه جداً ان يصور لنفسه فينا رأياً صحيحا مستقيما بريئاً من هذه العواطف الحادة الجامحة التى تسيطر على نفوس الشباب، وتؤثر أشد التأثير فيما يكونون لأنفسهم من آراء فى الكتاب والشعراء المعاصرين. فهم بين معجب يدفعه الاعجاب الى الاغراق فى الثناء، وبين ساخط يدفعه السخط الى الاغراق فى الذم. وأكاد اعتقد أن ليس من اليسير لكاتب او شاعر أن يعرف رأي الناس فيه حقاً، لأن هذا الرأي لايظهر واضحاً جلياً بريئاً من تأثير العواطف والأهواء والظروف، إلا حين يصبح الكاتب أو الشاعر وديعة فى ذمة التاريخ. ومع ذلك فأنا أشكر لك اجمل الشكر رأيك فى أصحابى وفي، وثناءك على اصحابى وعلىّ ويسرهم كما يسرني ان يكون رأيك فينا صحيحاً، وأن يكون ثناؤك علينا خالصاً من الاسراف فى الحب الذى يدعو الى الاسراف فى التقدير.

لقد قرأت كتابك الممتع فترك فى نفسى آثاراً مختلفة، ولكن أظهرها الاعجاب بهذا التفكير المستقيم العميق، وهذا الاطلاع الواسع الغنى، وهذا الاتجاه الخصب الى تعرف الروح الأدبى لمصر فى حياتها الماضية والحاضرة والمستقبلة. وقد دفعنى إعجابي بكتابك القيم الى ألا اختص به نفسى فآثرت به قراء الرسالة وأذعته فيهم. وأنا واثق بأنهم قد رأوا فيه مثل ما رأيت وحمدوا منه مثل ماحمدت، وأثنوا عليك بمثل ما أثنيت، وهموا أن يناقشوا بعض ماجاء فيه من الآراء كما اريد أنا الآن ان اناقشها.

ولست أدرى أيقف امر كتابك هذا عند اذاعته فى الرسالة وردى عليه، أو يتجاوزهما الى مناقشة طويلة عريضة، يشترك فيها كتاب مختلفون ونقاد كثيرون. فكتابك خليق بهذه المناقشة لأن أسلوب التفكير فيه جديد قيم، ومهما أفعل فلن استطيع ان أتناول كل ما أشعر بالحاجة الى تناوله بالنقد والتمحيص

من آرائك الكثيرة المتباينة التى أفعمت بها كتابك افعاماً . ولكنى أقف عند طائفة قليلة من هذه الآراء ، لا أستطيع ان أدعها تمضى من غير نقد ولا تعليق .

وأول ما أقف عنده من هذه الآراء رأيك فيما تسميه شؤون الفكر فى مصر، قبل الجيل الذى نشأ نافيه ، فقد ترى ان هذه الشؤون كانت كلها محاكاة وتقليداً وتأثراً للعرب ، واحتذاء خالصاً لمثلهم الأدبية ، حتى جاء الاستاذ لطفي السيد ففتح لنا طريق الاستقلال الأدبي . وفى رأيك هذا شيء من الحق ، لكن فيه شيئاً من الاسراف غير قليل ، فلست أعتقد ان الشخصية المصرية محيت من الأدب المصري محواً تاماً في يوم من الأيام ، ولست أعتقد أن كلمة أنا لم يكن لها مدلول فى لغة المصريين ، ولست أعتقد ان المصريين كانوا فى شبه اغماء حتى أقبل هذا الجيل الذى تتحدث عنه ، فرد عليهم الحياة والنشاط . كل ما يمكن أن يصح لك هو ان الشخصية المصرية فى الأدب كانت ذاوية ذابلة الى حد بعيد فى وقت من الأوقات لعله يبتدىء بآخر عصر المماليك . ولكن هذه الشخصية على ذبولها وفتورها لم تمت ولم تمح ، بل ظلت حية تتردد أشعتها الضئيلة فى آثار الكتاب والشعراء والعلماء ، الى أن كان العصر الحديث . ويكفى ان تقرأ الأدب المصرى فى ايام المماليك وقبل أيام المماليك ، لتعلم أن شخصيتنا الأدبية كانت قوية منتجة ، وكانت جذابة خلابة فى كل فرع من فروع حياتنا المعنوية . كانت فى الشعر بنوع خاص أقوى منها فى هذه الأيام ، واقرأ ديوان البهاء زهير فستجد صورتك فيه واضحة ، وستجد نفسك فيه ظاهرة ، وستجد عواطفك فيه ممثلة ، وستجد هذا كله أشد جلاء وقوة عند هذا الشاعر القديم منه عند شعرائنا المعاصرين . والأمر ليس مقصوراً على هذا الشاعر ، بل هو شائع فى شعرائنا جميعاً قبل فتح الترك لمصر . وهو كذلك شائع فى كتابنا وعلمائنا ، ولو قد كانت شخصيتنا ضعيفة فانية وفاترة واهية ، لما اتيح لنا ان نؤدي الحضارة الاسلامية ونحفظها من الضياع حين اخذ التتار والأوربيون عليها اقطار الشرق والغرب . ولم تكن هذه الشخصية فى عصور الضعف والوهن خفية ولا غامضة ، فأنت تجدها واضحة فى شعر هؤلاء الشعراء المتأخرين الذين عاشوا فى اول القرن الماضى وفى أثنائه ، والذين لانحب شعرهم ولا نطيل النظر فيه ، والذين يخيل الينا انهم كانوا يقلدون فيسرفون فى التقليد ، ولكنهم برغم هذا التقليد الشديد لم يستطيعوا أن يمحوا مصريتهم ولا ان يخفوها . ولست أستطيع ان اضرب لك الأمثال هنا فذلك شيء لاينتهى ، ولكني أؤكد لك ان حكمك على هذه الشخصية المصرية فى الأدب محتاج الى التصحيح ، وأنت قادر على هذا التصحيح ، ان قرأت أدبنا المصرى كما تقرأ الأدب الغربى وكما تقرأ الادب العربى القديم ، ستجد فيه تقليداً ، وستجد فيه بديعاً كثيراً ، ولكنك ستجد فيه نزعة مصرية واضحة تحسها حيثما ذهبت ، وأينما وجهت من ارض مصر ، وتجدها عند المصريين المعاصرين الذين لم تخرجهم الثقافة الأوروبية عن اطوارهم المألوفة ، فى الشعور والتفكير وفى النظر الى الحياة والتأثر بها والحكم عليها .

هذه النزعة صوفية بعض الشيء ، فيها مزاج معتدل من الاذعان للقضاء والابتسام للحوادث ، وفيها مزاج معتدل من حزن ليس شديد الظلمة ، ولا مسرفا فى العمق ، ومن سخرية ليست عنيفة ولا شديدة اللذع ولكنها على ذلك بالغة مقنعة ، تمض فى كثير من الأحيان ، ولعلك تجد هذه النزعة نفسها قريباً جداً منك . لعلك تجدها فى اهل الكهف . فجيلنا اذن لم يحدث شخصية مصرية لم تكن ، وانما جلا هذه الشخصية وأزال عنها الحجب والأستار ، وجيلنا لم يمنحها الحياة ، وانما منحها النشاط ، وزاد حظها من الاستقلال وغير وجهتها ، فلفتها الى الأمام بعد ان كانت تصر على الالتفات الى وراء ، وليس هذا بالشيء القليل .

وأنا معجب بآرائك فى الفن المصرى ، وفى الفن الأغريق ، ولكنى لا أحب لك هذا الاسراع إلى استخلاص الأحكام العامة ، واقامة القواعد التى لا تثبت للنقد والتمحيص . وآية ذلك أنك أنت نفسك قد أحسست بعض هذا الاسراع فاصلحته حين قضيت على اليونان فى أول الكتاب ثم قضيت لهم فى آخره . وسترى أنك أسرعت فى الأولى وأسرعت فى الثانية ، وكنت خليقا أن تصطنع الاناة فيهما جميعا . فليس من الحق أن اليونان كانوا أصحاب مادة ليس غير ، وليس من الحق أن روحية اليونان هذه التى أنكرتها فى أول الكتاب ، وعرفتها فى آخره قد جاءتهم من الاههم ديونيزوس وحده . فحظ اليونان من الروحية قديم تجده بينا فى شعرهم القصصي فى الالياذة والاودسا قبل أن تظهر فيهم الآثار العنيفة لدين ديونيزوس ، وأنت تعلم أن ظهور هذا الاله عند اليونان متأخر العصر ، وأنه فى أكبر الظن إله أجنبى جاءهم من تراقيا ، وأنه لم يعطهم هذه الحياة الروحية العليا ، التى نجدها عند سقراط وعند تلاميذه ، وعند افلاطون بنوع خاص ، وإنما أعطاهم حياة روحية أخرى كلها تصوف وكلها طموح إلى عالم مجهول مختلط تحيط به الأسرار والالغاز ، وتعبر عنه الرموز والكنايات .

وكان هذا النوع من الروحية ذا مظهرين مختلفين، أحدهما شائع مشترك، يساهم فيه الشعب كله، وأهل الريف منهم خاصة، والآخر مقصور على طائفة معينة، هي هذه التي تتعلم الأسرار وتشترك في إقامتها واحيائها. فكان دين ديونيزوس أشبه شيء بطرق الصوفية عندنا، علمها الصحيح مقصور على خاصة المتصوفة، ونشاطها العملي الغليظ شائع في أفراد الشعب جميعاً. وقد كان أثر ديونيزوس في الأدب اليوناني قوياً عميقاً، وحسبك إنه إله التمثيل، ولكن روحية اليونان الخصبة حقا، الممتازة حقا، التي أزعم معتذرا اليك أنك لا تستطيع أن تجد لها شبيها ولا مقاربا في مصر الروحية. هذه الروحية اليونانية تجدها واضحة جلية، عذبة ساحرة عند فلاسفة اليونان من تلاميذ سقراط، وعند افلاطون بنوع خاص. ستقول كما قال كثيرون من قبل: إن أفلاطون قدزار مصر، وأخذ منها ولست أنكر روحية مصر، ولكني لا أعرف عنها شيئاً كثيراً، ولعلى مدين لليونان بما أعرفه من الروحية المصرية. ومهما يكن من شيء فأنت توافقني على أن اليونان لم يكونوا أصحاب مادة فحسب، ولم تأتهم روحيتهم من ديونيزوس وحده، وانما اليونان مزاج معتدل من المادة والروح. هم الذين يحققون مثلك الأعلى من المزاوجة بين المادة والروح، والملاءمة بين الحركة والسكون، وبين القلق والاضطراب، ولذلك كان اليونان هم الذين أخرجوا للانسانية في العصر القديم أرقى تراث في الأدب والفن والفلسفة.

قلت إني لا أنكر روحية المصريين. وأقول أيضا إني مؤمن بروحية الهنود، ومعترف بتأثير الروحية المصرية والهندية في حياة اليونان. ولكني لا أعرف من روحية المصريين شيئاً كثيراً لاننا لا نعرف للمصريين فناً ناطقاً، لا نعرف لهم أدباً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة. وأنت ترى معي أن الأدب هو أوضح مصور لحياة العقول والقلوب، لأنه يحقق مقدارا مشتركا يمكن الاتفاق عليه، ويصعب الاختلاف فيه. فنحن إذاقرأنا الشعر أو النثر معا، فهمنا فهما واحدا أو فهمين متقاربين، ولكن الفن الصامت فن البحث والتصوير وما اليهما يثير في نفوس الناس معاني مهما تكن متقاربة متشابهة، فهي تختلف باختلاف الاشخاص والبيئات والعصور، هاأنت ذا تفهم من الفن المصري ما تفهم، ويشاركك فيه كثير من المثقفين ثقافة أوربية، ولكن أواثق أنت حقاً بأن قدماء المصريين كانوا يرون تماثيلهم وعماراتهم كما تراها، ويفهمونها كما تفهمها، ويستلهمونها كما تستلهمها؟ أرأيتك لو سألت مصريا معاصرا لرمسيس عن رأيه في تمثال من التماثيل، أو عمارة من العمارات، أيقول فيهما مثل ما تقول؟ ومثل هذا يقال في الفن اليوناني، وفي كل هذه الفنون الصامتة، فليس من الخير أن نعتمد عليها وحدها في تشخيص عقلية الأمم وروحيتها، انما المشخص الصحيح للعقول والقلوب والأرواح هو الكلام، والكلام الجميل الذي نسميه الأدب ونقسمه شعرا ونثرا. فالى أن يكشف لنا علماء الآثار المصرية عن أدب مصري قديم خليق بهذا الاسم أرجو أن تأذن لي في أن أشك في كثير جدا من هذه الأحكام التي يرسلها الأدباء والشعراء وأصحاب الفن على عقلية المصريين القدماء وروحيتهم، وبعدهم عن المادة، وقربهم من الروح.

كل هذه عندي أحكام يتعجل بها اصحابها، ويرسلونها على غير تحقيق، واذا فقد يكون من الاسراف أن نتخذ هذه الروحية المصرية الغامضة التي يسرع اليها الشك، والتي تعجز عن أن تثبت للبحث، والتي توشك أن تكون خيالا تخيلته أنت وتخيله أصحابك من الأدباء ورجال الفن أساسا لأدبنا المصري الحديث. فمن يدري لعل البحث عن آثار مصر ان يكشف لنا بعد زمن طويل أو قصير عن حياة مصرية قديمة تغاير كل المغايرة هذا الخيال الذي تحبونه وتطمئنون اليه، ويخيل اليكم ان الفن المصري القديم يوحيه ويمليه وينطق به.

نحن إذا أمام أمرين: احدهما عرضة للشك الشديد، لا نكاد نعرف منه شيئا، والآخر لا سبيل إلى الشك فيه؛ احدهما حياة مصر القديمة وحضارتها العقلية – ان صح هذا التعبير – والآخر حياة العرب وحضارتهم. فالى أي الأمرين نفزع لنقيم عليه بناء أدبنا الجديد؟ إلى الشك ام إلى اليقين؟ وهنا يظهر الخلاف بينك وبيني شديدا حقا، فقد اصلحت انت رأيك في اليونان، ولا أستطيع مناقشتك في احكامك على المصريين لأنها أثر الالهام الفني، ولكن رأيك في العرب وآثارهم في حاجة شديدة جداً الى التقويم. فقد كنا نرى ان ابن خلدون جار على العرب فاذا أنت أشد منه جوراً وأقل منه عذراً. فقد يسر الله لك من أسباب العلم بالتاريخ القديم، وتاريخ القرون الوسطى وتاريخ الحياة الأدبية والفنية والعقلية لمختلف الأمم والشعوب مالم ييسره لابن خلدون. فاذا قبل من هذا المؤرخ الفيلسوف ان يتورط في الخطأ لأن عقله الواسع لم يحط من امور اليونان والرومان والهند والفرس والمصريين القدماء بما نستطيع نحن الآن أن نحيط به او نمعن فيه، فليس يقبل منك انت هذا الخطأ وليس يقبل من المعاصرين بوجه عام. وقد ذهب الى مثل ماذهبت اليه جماعة من المستشرقين منهم دوزي ورينان، وأحسبكم جميعاً تظلمون العرب ظلماً شديداً وتقضون في أمرهم بغير الحق.

فلو أنكم ذهبتم تقارنون بين العرب وبين الهنود والفرس، والمصريين القدماء لما كان من حقكم ان تقدموا هذه الأمم فى الأدب على الامة العربية بحال من الاحوال، لاننا لانكادنعرف من آداب هـــذه الامم فى تاريخها القديم شيئا يقاس الى ما بين ايدينا من الادب العربى. فالى ان يستكشف ادب هذه الامم ان كان لها ادب اكثر من هذا الذى نعرفه، يجب ان نؤمن للعرب بالتفوق عليها فى الشعر والنثرجميعا. للمصريين فنهم، وللهنود قصصهم وفلسفتهم، ولكن للعرب شعرهم ونثرهم ودينهم، ولهم قصصهم أيضا. فاذا اردت ان تقارن بين العرب والرومان فأظنك توافقنى على ان الادب العربى الخالص ارقى جدا من الادب الرومانى الخالص، اى ان الأدب الرومانى انما أرتقى حقا حين اثرفيه الادب اليونانى، فالرومان تلاميذ اليونان فى الادب والفن والفلسفة، والعرب يشبهونهم فى ذلك. ولكن العرب كان لهم ادب ممتاز قبل ان يتأثروا بالحضارة اليونانية، ولم يكن للرومان من هذا الادب الرومانى الممتاز الخالص حظ يذكر. وقد تفوق الرومان فى الفقه، ولكنهم لم يسبقوا العرب فى هـــذه الناحية من نواحي الانتاج، ولعل الامة الوحيدة التى يمكن أن تشبه بالرومان فى الفقه انما هى الامة العربية. لم يبق اذا الا ادب اليونان، هو الذى يمكن ان يقال فيه انه متفوق على الادب العربى حقا، ولكن من الذى يقيس رقى الادب فى امة من الامم برقى الادب فى امة اخرى؟ فاذا كانت ظروف الحياة العربية مخالفة اشد المخالفة لظروف الحياة اليونانية، فطبيعى ان تختلف الآداب عند الامتين. وليس من شك فى ان الادب العربي قد صور حياة العرب تصويرا صادقا فأدى واجبه احسن الاداء، وكل ما يؤخذ به الادب العربي القديم هو انه لا يصور حياتنا نحن الآن، ولكن اواثق انت بان الادب اليونانى القديم قادر علي ان يصور الحياة الحديثة تصويرا يرضى أهلها؟! أما انا فلا اتردد فى الجواب على مثل هذا السؤال، فالأدب اليونانى القديم خصب غنى ممتع من غير شك، ولكنه كالادب العربي قد صور حياة القدماء، وهو قادر على ان يلهم المحدثين لا اكثر ولا اقل

واراك تذكر الفن العربي فتعيبه وتغض منه، وقد تكون موفقا فى ذلك، ولكن أليس من الظلم ان تحمل هذا الفن على العرب، وانما هو فن اسلامى ساهمت فيه الامم الاسلامية المختلفة واستمدت اكثره من البيزنطيين. فاذا كان لك ان تعيب هذا الفن او تحمده، فأحب ان تقتصدفى اضافته الى العرب، والخير ان تضيفه الى الامم الاسلامية. وامر العرب بالقياس الى الفن والادب والعلم والفلسفة بعد العصر العباسى الاول، كأمر اليونان بالقياس الى هذه الأشياء كلها بعد غارة الاسكندر على الشرق. كانوا ملهمين باعثين للنشاط، دافعين الى الانتاج، مقدمين لغتهم وعاء لما تنتجه العقول والملكات على اختلافها، وقد يكون من الحق ان كل مقامة من مقامات الحريرى اشبه بباب من ابواب جامع المؤيد، ولكن من الحق ايضا ان الآثار الادبية التى تشبه مقامات الحريرى، والآثار الفنية التى تشبه ابواب جامع المؤيد كثيرة جدا عند اليونان فى العصر المتأخر، وعند البيزنطيين، ولعل هذه الآثار اليونانية البيزنطية هى التى احدثت عند المسلمين مقامات الحريرى وابواب جامع المؤيد.

وانت تميز اليونان بالحركة، وتميز العرب بالسرعة، وتستنبط من هذه السرعة ظلما كثيرا للعرب، كما فعل ابن خلدون من قبل، وليس من شك في ان العرب يشاركون اليونان فى الحركة، ولكن ليس من شك ايضا فى انك تغلو غلوا شديدا فى وصفهم بالسرعة. انما أسرع العرب فى الخروج من باديتهم، ولكنهم حين بلغوا الامصار استقروا فيها، وطال بهم المقام، فأثروا فى اهلها وتاثروا بهم، وكانوا فى القرون الوسطي اشبه الامم باليونان فى العصر القديم.

ورأيك فى الموسيقى العربية واليونانية في حاجة الى التصحيح ايضا، فنحن نعلم من الموسيقى اليونانية شيئا يسيرا غير مضبوط، ولا نعلم من الموسيقى العربية شيئا، ولست ادرى الى اى امـــة او الى اى جيل نستطيع ان نرد هذه الموسيقى، وهذا الغناء اللذين نتحدث عنهما. ولكن الشيء الذى لا أشك فيه هو ان من العسير جداً ان نردهما الى العرب القدماء. وكل شيء يدل على ان الموسيقى العربية والغناء العربى كما كان يعرفهما العرب ايام الامويين والعباسيين وفي الأندلس كانا متأثرين اشد التأثر بالموسيقى البيزنطية والغناء البيزنطى. فاذا اردت ان تعيبهما فلا تنس ان تعيب اصلهما اليونانى القديم.

واريد الآن ان ادع هذه المناقشات التى تمس امورا جزئية وان اخلص الى جوهر الموضوع الذى تريد ان تعرف رأيي فيه، وهو: الروح المصرى الذى ينبغى ان يقوم عليه الادب الحديث ما هو؟ وما العناصر التى تؤلفه؟ وانا أستاذنك فى أن أكون يسيرا سهلا، لامتعمقا ولامتكلفا، ولا باحثا عن الظهر فى الساعة الرابعة عشرة ـ كما يقول الفرنسيون ـ فالامر أيسر جدا من هذا كله، عناصر ثلاثة تكون منها الروح الادبى المصرى، منذ استعربت مصر، اولها العنصر المصرى الخالص الذى ورثناه عن المصريين القدماء على اتصال الازمان بهم، وعلى تأثرهم بالمؤثرات المختلفة التى خضعت لها حياتهم، والذى نستمده دائما من ارض مصر

وسمائها، ومن نيل مصر وصحرائها. وهذا العنصر موجود دائما فى الادب المصري الخالص، قد حاولت تشخيصه بعض الشيء فى اول هذا الفصل، فيه شيء من التصوف، وفيه شيء من الحزن، وفيه شيء من السماحة، وفيه شيء من السخرية. والعنصر الآخر هو العنصر العربى الذى يأتينا من اللغة ومن الدين ومن الحضارة، والذى مهما نفعل فلن نستطيع ان نخلص منه، ولا ان نضعفه ولا أن نخفف تأثيره فى حياتنا، لانه قد امتزج بهذه الحياة امتزاجاً مكونا لها مقوماً لشخصيتها. فكل افساد له افساد لهذه الحياة، ومحو لهذه الشخصية، ولا تقل انه عنصر اجنبى، فليس اجنبيا هذا العنصر الذى تمصر منذ قرون وقرون، وتأثر بكل المؤثرات التي تتأثر بها الاشياء فى مصر من خصائص الاقليم المصرى، فليست اللغة العربية فينا لغة اجنبية، وانما هى لغتنا وهى اقرب الينا الف مرة ومرة من لغة المصريين القدماء. وقل مثل ذلك فى الدين، وقل مثله فى الادب.

اما العنصر الثالث. فهو هذا العنصر الاجنبى الذى اثر في الحياة المصرية دائما، والذى سيؤثر فيها دائما، والذى لاسبيل لمصر الى ان تخلص منه، ولا خير لها فى ان تخلص منه، لان طبيعتها الجغرافية تقتضيه، وهو هذا الذى ياتيها من اتصالها بالامم المتحضرة فى الشرق والغرب. جاءها من اليونان والرومان واليهود والفينيقيين فى العصر القديم، وجاءها من العرب والترك والفرنجة فى القرون الوسطى، ويجيئها من اوربا وامريكا فى العصر الحديث. فخذ الآن اى اثر أدبى مصرى فحلله الى عناصره التى يتكون منها، فستجد فيه هذه العناصر الثلاثة دائما. ولكنك ستجد بعضها اقوى من بعض بمقدار حظ المؤلف او المنشىء من هذه الثقافات الثلاث المختلفة. بعض هذه الآثار يغلب فيه العنصر العربى، وبعضها يغلب فيه العنصر الاوربى، وقليل جدا منها يظهر فيه العنصر المصرى القديم. فاذا لم يكن بد من أن أصور المثل الأعلى لروحنا المصرى فى أدبنا الحديث، فانى أحب ان يقوم التعليم المصرى على شيء واضح من الملاءمة بين هذه العناصر الثلاثة فتشتد عنايته جدا بالتاريخ المصرى، و الفن المصرى، والادب المصري على اختلاف العصور، وتشتد عنايته جدا بالادب العربى، والتاريخ العربي، والدين الاسلامى. ثم تشتد عنايته بالثقافة الحديثة واخوف ما اخافه على هذا الروح المصرى شيئان: احدهما ان تلهينا الثقافة الاوربية عن الثقافة المصرية والعربية، وكل شيء يغرينا بها ويغريها بنا فهى ضرورة من ضرورات الحياة، فمن الحق علينا ألا نضيع حظنا منها، ولكن من الحق علينا الا نفنى انفسنا فيها. الثانى أن تؤثر ثقافة اوربية على ثقافة اوربية فنؤثر الثقافة الانجليزية - كما يريد قوم وكما تريد سياسة الدولة - او نؤثر الثقافة اللاتينية - كما يريد قوم آخرون، وكما كانت تريد سياسة الدولة من قبل - هذا خطر لانه يجعل الروح المصرى الناشىء وجها لوجه أمام روح اوربى اقوى منه واشد باسا. فيوشك ان يخضع له ويفنى فيه، فلو قد فتحنا أبوابنا للثقافات الاجنبية على اختلافها، لانتفعنا بها كلها ولأضعف بعضها بعضا، وحال بعضها دون بعض ان يفنينا او يسيطر علينا. لذلك تمنيت وما زلت أتمنى لو لم تفرض على مصر لغة بعينها من لغات الاوربيين، بل جعلت اللغات الحية الراقية كلها مباحة للطلاب يأخذون منها ما يشاءون.

هذا الروح المصرى الذى يتكون من هذه العناصر الثلاثة، هو الذى نشهده الآن عندك وعند كثير من أمثالك المثقفين، وهو الذى نجد فى نشره واذاعته بين المصريين جميعا، وهو الذى سيطبع أدبنا المصرى الحديث بطابعه القوى سواء اردنا أم لم نرد. فشخصيتنا المصرية العربية اقوى بحمد الله من أن تمحى او تزول، والحضارة الأوربية اقوى والزم من أن نعرض عنها، أو نقصر فى الأخذ بحظنا منها. ستسألنى: ولكن الأديب؛ من أين يستمد خواطره، ويستلهم وحيه؟ فاجيبك: من هذه العناصر كلها، او من أى هذه العناصر شاء. سيكون منا الأديب الذي يستلهم العنصر المصرى القديم؛ اليس بين الفرنسيين من يستلهم اليونان؟ وسيكون منا الاديب الذي يستلهم العنصر العربي؛ اليس من الفرنسيين من يستلهم الرومان؟ وسيكون منا من يستلهم العنصر الاوربى، اليس من الفرنسيين من يستلهم السكسونيين؟ بل من يستلهم الشرق الاقصى، او الشرق الاوسط، او الشرق القريب، بلى. والامر كذلك عند الانجليز وعند الالمان، وعند غيرهم من الامم الحية. فانت تري أن أمر هذا الروح المصرى ايسر من ان يدعو الى الخوف او يضطر الى الحيرة واكبر الظن أن مصدر هذه الحيرة وذلك الخوف انما هو اضطراب سياسة التعليم فى مصر وقيامها على غير أساس، وسيرها فى غير طريق، ولو قد وضحت هذه السياسة واستقامت منذ زمن بعيد لما تساءلنا الآن عن الروح المصرى، ولا عن الادب المصرى من أين يستمد الحياة.

أما بعد؛ فقد كنت أريد أن أقتصد وأؤثر الايجاز، ولكن الحديث معك أغرانى بالاطالة وحببها الي، وارجو أن لا اكون قد أثقلت عليك ولا على غيرك من القراء، وارجو ان تقبل تحيتي الخالصة؟

أدب اللفظ وأدب المعنى

للاستاذ احمد امين

من قديم اختلف علماء البلاغة ، أهي فى اللفظ أم فى المعنى ، وقد عقد عبد القادر الجرجانى فصلا ممتعاً فى آخر كتابه دلائل الاعجاز ذكر فيه حجج الفريقين ، فقدكان فريق يرى أن المعانى مطروحة أمام الناس ، والبليغ من استطاع أن يصوغها صوغاً جميلا ، وانما يتفاضل الأدباء بجودة السبك وحسن الصياغة ، ويرى الفريق الآخر أن المعاني هى مقياس التفاضل ، وأن الأديب يفضل الأديب بغزارة معانيه ، وجدة أفكاره ، وأظن أن الزمان فصل فى هذه القضية ، اذ أصبح واضحاً أن حسن الصياغة ، وجودة المعانى ، عنصران أساسيان لابد منهما للأديب ، وأن من تجرد من إحدهما لايسمى أديباً بحال ، وأن المثل الأعلى للأديب معان غزيرة سامية ، وصياغة جيدة محكمة

غير أن هناك — ولا شك — مواضع تراعى فيها المعانى اكثر مما يراعي اللفظ وصياغته ، كفصول النقد الأدبى ، والمقالات العلمية الأدبية ، والمقالات التاريخية الادبية ، وتراجم الأشخاص ونحوها ، فالغاية من هذه الموضوعات ليست اللذة الفنية ، وانما الغرض الأولى هو المعانى والحقائق ، فيجب ان تكون غزيرة فياضة ، وكل ما نتطلبه فيها من اللفظ أن يعبر عن هذه المعانى في دقة ووضوح ، أما القصد الى محسنات البديع ومجملات الصناعة فلا داعى له ، وربما كان افراط الكاتب في هذه المحسنات حجباً للمعاني عن الأنظار ، ومضلة للعقول عن الوصول الى حقيقة المعاني ، وهى أقوم مافى هذه الموضوعات .

وهناك ضرب آخر من الادب كالشعر والقصص فيه مراعاة اللفظ وحسن السبك فى المنزلة الأولى ، ولست اعنى ان الحقائق والمعانىفيهما مجردة من القيمة بل هى كذلك من مقدماتهما ، والشاعر الذى يجيد السبك ولا يجيد المعنى ليس من شعراء الطبقة الاولى ، وخير الشعراء من صح حكمه ، واتسعت تجاربه فى الحياة . وكان له علم عميق بكثير من الاشياء التي حوله ثم صاغ ذلك كله صياغة جميلة ، وهذا الأدب الصرف كالشعر والقصص والقطع الفنية الأدبية ، ليس الغرض الأولى منه نقل المعاني كما فى الصنف الأول ، وانما الغرض منه اثارة عواطف القارىء والسامع

والألفاظ - كما يظهر لى - لم توضع لنقل العواطف ، وانما وضعت لنقل المعاني والألفاظ أعجز ماتكون عن نقل عاطفة الاديب الى القارىء . فكيف انقل اعجابي بالطبيعة أو أنقل حباً ملأ جوانحى ، او غضباً استفزنى ، أو رحمة ملكت مشاعري ؟ لم توضع الالفاظ لشىء من ذلك ، انما وضعت لنقل مقدمات ونتائج منطقية ، ولكن ما حيلتنا وقد خلقنا عاجزين لم نمنح لغة العواطف ، ولا بد لنا من التعبير عنها ونقلها الى قارئنا وسامعنا — لذلك استخدمنا لغة العقل مرغمين ، وأردنا أن نكمل هذا العجز بضروب من الفن ، كموسيقى الشعر من وزن وقافية ، وكالسجع ، وكل ضروب البديع ، وليس القصد منها الا أن تكمل نقص الألفاظ فى أداء العواطف .

فى هذا النوع من الأدب ليس من الضرورى أن تكون معانيه جديدة ، وربما يستطيع الاديب أن يجعل من المعنى المطروق قصيدة رائعة ، أو قصة ممتعة ، وكل مافيها من جديد صياغتها الجديدة ، وخيالها المبتكر ، وليست وظيفة الأديب فيها أن يعلم الحقائق ، انما وظيفته أن يثير مشاعر الناس بها ، ويعبر عما لايحسنون التعبير عنه ، وان كانت المعانى فى نفوسهم ، وبين سمعهم وبصرهم . كل انسان يشعر بجمال الوردة ، ولكن الاديب يملأ مشاعرك بجمالها ، ويوحى اليك بمعان ترتبط بها ، مثل اقتران تفتحها بتفتح الشباب ، ونشوة الأمل ، أو ماتبعث من شجن . وجودة الأسلوب وحسن النظم قد يرقيان بالمعانى المألوفة فيخرجانها فى شكل جذاب ولكن لايمكن الأديب على كل حال أن يتبوأ مكاناً عالياً اذا اعتمد على الأسلوب وحده وكان مصاباً بالفقر العقلى .

فى ادب كل أمة نرى أدب اللفظ وأدب المعنى ، وفى الادب العربي أمثلة واضحة لذلك ، فمقامات الحريرى والبديع ادب لفظ لامعنى ، قل أن تعثر فيهما على معني جديد ، او خيال رائع ، وهما من الناحية القصصية في ادني درجات الفن ، ولكنهما تؤديان غرضا جليلا من الناحية اللفظية ، ففيهما ثروة من الالفاظ والتعبيرات لاتقدر ، ويظهر أن مؤلفيهما قصدا الى تعليم اللغة وامداد المتعلم بثروة كبيرة من الالفاظ والامثال والتعبير ، وتحايلا على ذلك بهذا الوضع الجذاب ، فان كانا قد قصدا الى ذلك فقد نجحا نجاحا تاماً وان كان قصدهما غير ذلك فلا . وشعراء القرون المظلمة بعد سقوط بغداد وكتابها أدباء ألفاظ : رواء في العين ، ولا شىء فى اليدين ، بل ان ادب كثير منهم لا هو أدب لفظ ولا هو أدب معنى ، يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، والمعرى فى لزومياته أديب معنى لا أديب لفظ ، غزرت معانيه وقصرت ألفاظه ، حاول ان

يدخل المحسنات البديعية فى شدة ففشل، قد التزم مالا يلزم فاضاع مايلزم، والمتنبي — على الجملة — اديب لفظ ومعنى قد وقع من معانى الحياة علي ما لم يقع عليه من قبله، ثم صاغه صياغة قوية حببته الى النفس.

وبعد فيظهر لى أن الزمن سائر الى تقويم المعاني أكثر من تقويم الالفاظ، وشأن الناس فى تقويم الادب شأنهم فى تقويم الجمال في سائر الفنون، فمن لم يصلوا الى درجة راقية من المدنية يعجبهم من الألوان اللون الزاهى، كالاحمر القاني والاصفر الفاقع، ويعجبهم من الأجسام السمين القوى فى ملامحه، ومن الأصوات الطبل والمزمار، فاذا بلغوا مبلغا كبيرا في الحضارة أعجبتهم الألوان المتناسقة والألوان الخفيفة، كما تعجبهم وحدة الفكرة التى تنسق الألوان المختلفة والمظاهر المتعددة، وأعجبهم من جمال الانسان الرشاقة وخفة الروح، وأعجبوا بجمال الحركة، وقوموا جمال المعاني أكثر مما يقومون جمال الملامح، ونظروا الى جمال الروح أكثر مما ينظرون الى جمال الجسم، حتى فى جمال الجسم يقومون وحدة التناسق والنسبة بين الأعضاء أكثر مما يقومون جمال الوجه وحده، وفى الموسيقى تعجبهم النغمات الهادئة، والنغمات المتناسقة، والنغمات التي تمثل المعانى. كذلك شأنهم فى الادب يكرهون السجع الدائم، والكتابة التي اختفت معانيها او ضاعت وراء الزينة المفرطة والزخرف الكثير، والقافية الطويلة على وتيرة واحدة، وتعجبهم البساطة في القول والزينة بقدر، والالفاظ كوسيلة لا غاية، يكرهون النكت كلها لعب بالالفاظ، والنكت تلذع لذعا صريحا، وتعجبهم النكته أسست على معنى، والنكتة تلذع فى ايماء ورقة.

ان الاديب اذا رزق حظوة فى السبك، وأصيب بفقر فى المعنى كانت شهرته وقتية وقيمته محدودة الزمن، ولا يلبث الناس أن يدركوا ضعفه وفقره فينبذوه، والاديب الخالد من زاد في معارفنا ومشاعرنا بما فى قوله من معنى وقوة.

أديب اللفظ فارغ الرأس قليل العلم بما حوله، قريب الغور، قد ستر كل هذا بزخرف القول كما تستر الشوهاء عيبها بالأصباغ، رخصت بضاعته فبالغ فى التجمل فى عرضها، ولفت الانظار اليها. وشعر أنها مزيفة فغضب لنقدها والتلويح بامتحانها. والأمة فى طفولتها وشيخوختها يعجبها هذا النوع من الادب، لأن خفة رأسها من خفة رأس أدبائها. ولأن العقول السخيفة يعجبها السحر والشعوذة وألعاب البهلوان، والأدب اللفظي المحض نوع من هذا اللعب.

فاذا نضج عقلها تغير ميزانها ونفذ نظرها الى أعماق الشيء، لتعرف ماوراء الظواهر. واذ ذاك تقدر المعاني أكثر مما تقدر الألفاظ، ترى الالفاظ جسما والمعنى روحه، وترى المعنى غاية واللفظ وسيلة. وتستحسن اللفظ لا لذاته، ولكن لانه لفق المعنى. تزين معانيه الفاظه والفاظ ذات شأن المعاني

ما أحوج أدبنا العربي الحديث الى المعنى القوي الغزير في اللفظ الجزل البسيط!

نظرة في نظام بيعة الخلفاء

النمو الثانى

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

— ٢ —

هل استطاع التاريخ أن يصدر حكمه فى ثورة الفرنسيين؟ إن هذه الثورة قريبة العهد، فحوادثها قريبة الحدوث واكثرها مدون فى وقته، مضبوط التواريخ وحكومة اليوم قائمة على تلك الثورة، ومن اكبر الجرائم فى دولتها أن يعمل أحد على مس نظام الجمهورية الذى وضعته تلك الثورة، ومع ذلك فانا نجد الافكار مقسمة مضطربة اذا تناولت ذكرها وحوادثها. فقوم من المؤرخين يتشيعون لها ويتغنون بكل ما كان فيها، وقوم آخرون ينكرون عليها فعالها، ويزورون من قاموا بها وآزروها.

وهل يستطيع العرب الا ان يكونوا كذلك؟ فان ثورتهم فى مدة الخليفة عثمان لم تكن ثورة من كل الناس، وان اشترك فيها كل العرب بالرأى والقول، وتناولوها بين منكر ومنتصر. ولسنا بسبيل هؤلاء او أولئك، ولكنا نرى أنها مثل الثورة الفرنسية، ان اختلفت فيها الآراء فان الكتاب جميعا متفقون على انها كانت ظاهرة اجتماعية طبيعية. فلندع الخوض فى هل كانت تلك الثورة حقا ام كانت باطلا، وحسبنا من القول أن يقال إنها كانت ثورة طبيعية، وانها كانت خطوة فى سبيل بناء الدستور العربي. وهي وان لم يشترك فيها كل العرب قد كان فيها ممثلون للانحاء المختلفة من بلادهم، فقد كان فيها جماعة من مصر وجماعة من مصري العراق، كما اشترك فيها الاعراب من انحاء جزيرة العرب. وقد جمعت جماعة من الزعماء كما ضرب فيها العبيد بسهمهم فعدد الثائرين كان محدودا، ولكن فكرة الثورة كانت شائعة،

وكانت رقعتها كذلك محدودة ، ولكن مدى الاشتراك فيها كان يشمل حدود الدولة العربية اذ ذاك . لسنا نقصد أن نقول ان العرب جميعا كانوا يريدون سفك دم الخليفة الشهيد ، فقد كان هـــذا أبعد شيء عنهم ، بل إن الفكرة ذاتها لم تكن في نفوسهم من أول الامر ، ولكن الثورة كانت في نفوس الجميع . وكانت ثورة طبيعية لا هي وليدة تدبير ولا هي بنت حادثة ، بل كانت نتيجة فكرة اختمرت في النفوس حتى صارت عقيدة ، ثم كان من الامر ما كان عن عقيدة .

كان انتخاب سيدنا عثمان كما سبق القول نتيجة اختيار واسع الرقعة وكان كذلك قائما على تعهد وبرنامج . ثم جرت حوادث على مر الايام لاحظها العرب واحصوها في نفوسهم ، واذا قلنا العرب فانما نقصد جميع العرب سواء في ذلك من كانوا في قلب الجزيرة والحجاز ومن كانوا في الامصار . وهل كان أهل الامصار يتركون الأمر يسير كما يشتهي فئة من قريش وهم جنود الدولة الذين يوفرون لها الفيء والاموال ، و يعودون عليها بالنصر والفتح . ولسنا في حاجة الى هذا التساؤل فحسبنا ان نتذكر أن اختيار عثمان كان قائما في ناحية منه على رضى جنود الامصار ، فاذا لاحظ هؤلاء الجنود كيف يذهب فيئهم في غير وجوهه انقلبوا ينتقدون رئيس الدولة الذي يسمح بمثل هذا ، واذا رأوا مشيختهم يعزلون عن البلاد التي فتحوها لكي تسلم القيادة الى فتية لا غناء لهم ولا تحيط بهم ذكريات المجد والفتح احاطتها بالزعماء المعزولين نفرت نفوسهم وطفقوا يحصون على الوالي الجديد اعماله ويسيئون تأويلها أو يزيدون تأويلها قبحا . ومنذ بلغ الحال هذا المدى بدأ النقد يتخذ شكل الشكوى . وانطلقت الالسنة بما دار في النفوس من التهم .

ولسنا نقصد أن نذكر الحوادث او نسرد ما كان من الخطوات التي ادت الى الثورة ، فذلك معروف متداول ، ولكنا نذكر امرين لا غنى عنهما : الامر الاول ان رؤساء العرب في المدينة اقتنعوا اقتناعا كبيرا بحق الشاكين ووجوب ازالة ما يشكون منه وبدأت نفوسهم تنحرف عن عثمان عندما رأوه لا يبدي الجد في احقاق الحق وكان جديرا به أن يكون عند الحق مقيدا . والامر الثاني ان الذين كانوا ياتون للشكوى لم يكونوا من أهل الفساد والعبث بل كانوا رجالات من الزعماء أتوا وقلوبهم موغرة تملؤها الشكوى ، وما كانوا يقصدون سوى أن تزال مواطن تلك الشكوى بعد ان بثوها مرارا . وما كانوا مدفوعين الا بعامل واحد وهو الاصلاح . وكان ابعد شيء عنهم أن يفكروا في قتل الخليفة ، و يثيروا بذلك المشكلات والعداوات أو أن ينقضوا بناء الدولة الذي كان لهم الفضل في بنائه فضلا عن انهم من جنود الدولة الحريصين على الدفاع عنها وبسط سلطانها .

واذا كان لا بد من ضرب المثل للتدليل على صدق مذهبنا في هذين الأمرين فانا نذكر القراء بما كان من عبد الرحمن بن عوف وهو كما نعلم صاحب اليد في اختيار عثمان . فانه غير متهم اذا هو قام يذكر عثمان بما وجب عليه . ولقد بلغ به الأمر أن خاصم عثمان وحلف ألا يكلمه بكلمة حتى يفرق بينهما الموت ، وقد بر بقسمه فقد قيل إنه لما حضرته الوفاة دخل عليه عثمان عائدا فأدار وجهه الى الحائط ولم يكلمه . وذلك موقف كان يدعو الى ترك الخلاف لو لم يكن الأمر قد بلغ حدا لا يرتاح الضمير الى التساهل فيه واذا شئنا أن نكرر الأمثلة التي تدل على انحراف زعماء الصحابة عن عثمان في آخر الأمر لم نضق بالأمر ، فقد غضب طلحة حتى كان فيمن يحرض على عثمان تحريضا شديدا ، وغضب عمار بن ياسر وبلغ الأمر بأبي ذر الغفاري أن نفي من المدينة ، وكان علي في أشد المواقف ، ولكنه لم يكن راضيا وإن لم يظهر شيئا من غضبه باكثر من كلمات قالها لعثمان أو لبعض أهله . ولقد كان علي في أشد المواقف فانه كان في حيرة بين واجبه نحو صديق آخي بينهما رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وبين واجبه نحو العدل وهو بقية العهد الأول من عهود الاسلام ، وهو البطل الذي ما كان يرضى بالحيد عن العدل مهما كان في سبيل ذلك من الأخطار . على أنه كان مع ذلك يحاول أن يحمل الخليفة على الاصلاح لكي يتحاشى النكبة التي لاحت في الأفق

وأما الامر الثاني وهو حسن نية الثوار فليس ادل عليه من انهم لم يرضوا بترك الأمر فوضى بعد قتل الخليفة ، بل كانوا يعرضون الامر على الزعماء . ويظهرون لهم وضوح حجتهم في ثورتهم ، ولم يفكر احدهم في أن يذهب الى مصره ليضرم فيه النار ، أو ان يهرب الى بلده قبل ان يستقر الامر و يتدارك ما كان من الخطب ، فلم يكونوا بالمجرمين الذين متى تمت جريمتهم فزعوا هاربين من ضوء الشمس يحاولون أن يدخلوا في غمار الناس حتى لا تنالهم معرة فعلهم . فكانوا أشبه الناس بأصحاب يوليوس قيصر عند ما قتلوه وقاموا بين الناس معترفين بما أتوه ، وبأنهم انما فعلوا فعلتهم دفاعا عن الحق والحرية .

قتل الخليفة ولكن قتله كان غير مدبر تدبيرا محكما نتيجة تفكير طويل ، بل جاء عند ما فزع الثوار اذ بلغهم ان الجيوش الموالية له تتحرك نحوهم لتبطش بهم من انحاء الامصار . وقد ذهب الخليفة ضحية الظروف القاسية التي كانت تخيم على دولة العرب والتي كانت

تحتاج الى رجل له عقلية غير عقلية عثمان . عقلية محضة لا تردد فيها بين العواطف المختلفة ، ولا تنازع فيها بين جانبي العدل والميل الطائفي ، فاما ان تكون عقلية دنيوية محضه تسير على الميل الطائفي والاثرة ولكنها تسير قدماً بغير تردد ، واما أن تكون عقلية عادلة محضة تسير مع العدل قدما بلا تردد ، واما عثمان فقد كان قلبه مملوءا بفكرة العدل ، ولكنه كان لين العاطفة يصل قرابته ، ولا يستطيع الا أن يكون مائلا نحو من لهم به مساس من رحم . فتردد بين الدافعين المتضادين ، وكانت الكارثة من وراء هذا التردد

ولما تم الامر عاد الثوار الى أنفسهم وكانهم يريدون انقاذ الموقف فقضوا أسبوعا يبررون فعلهم ، ويعرضون الخلافة على الزعماء . وقد أرادوا ألا يبعدوا عن السنن التي اختطها السلف والايحيدوا عما سار عليه العرب في بناء دستورهم منذ كانت دولتهم ، فرأوا أن يرجعوا الى آخر خطوة من خطى ذلك الدستور قبل الثورة ، الا وهى خطوة الشوري . ولم يكن الوقت ليسمح لهم بالسير بعد ذلك خطوة أخرى جديدة فى سبيل تقدم ذلك الدستور وهي الخطوة التى كانت تنتظر بلوغ نظام كفيل بتمثيل العرب واختيار اليقهم للخلافة اذ ان ذلك كان يستلزم الهدوء والاستقرار . فلما لم يستطيعوا السير الى الامام عادوا الى حيث كانوا ورجعوا الى المرشحين للخلافه بعد مقتل عمر . وكان بعضهم قد لحق بربه مثل عبد الرحمن ابن عوف وكان بعضهم بعيدا عن المدينة ، وهو الزبير . فعرضوا الخلافة على طلحة فأبي وكره ان يتقدم فى مثل هذا الظرف خوفا من التهمة ، اذ كان ممن ظهر منهم التحريض الصريح على عثمان ، واما سعد بن أبي وقاص فقد كان أخرج نفسه منها منذ حادثة الشورى وأبى أن يعاود نفسه فى ذلك الأمر ، فلم يبق من المرشحين للخلافة من أهل الشورى الا علي . وقد عرض الثوار الخلافة عليه فلم يرض بادىء الأمر ، وابى كل الاباء ان يقبلها .

وكان على عند مقتل عمر أول المرشحين للخلافة ، ولولا أنه أبى أن يقيد نفسه بغير كتاب الله وسنة نبيه ، ورفض أن يحرم نفسه الاجتهاد على هذين الأساسين فيما يقابله من مسائل الدولة لكان هو الخليفة بعد عمر . ولما رأى الثوار أن كل اهل الشورى لايواتونهم فيما يطلبون عادوا الى علي وغيروا لهجة عرضهم وخاطبوه بما وجد فى قلبه موقعاً . وذلك أنهم بدأوا يظهرون له حال الدولة الاسلامية ، وقد مضى عليها اسبوع بغير خليفة ، وحدودها ممدودة الى اعداء كثيرين . واذا استطال الأمر بها لم يؤمن عليها من الضياع والانفراط . وهل كان علي يترك دولة الاسلام فى مثل هذا المأزق ويتردد فى قبول حمله والاضطلاع به ؟ لقد كانت المشكلات واضحة لكل ذي عينين ، وكان كل من عرضت عليهم الخلافة يرفضونها ، وهم يخشون ما وراء قبولها من العقبات والأخطار والمتاعب . فلم يكن الأمر أمر خلافة وسلطة وسيادة بل كان الأمر امر شقاق ، وكان على الخليفة ان يحاول القضاء عليه ، وأمر دولة تريد أن تنهار ويجب الاحتفاظ بها وحفظها من الضياع ، وأمر شهوات وأغراض يريد اصحابها ان يصلوا اليها متسترين بالثأر ، والواجب حماية المجتمع والدولة الاسلامية منها . وقد كان علي من بناة الدولة وأول ابطالها الذين تعرضوا للموت مراراً فى سبيل بنائها ، فلما ان جاءه الثوار من ناحية ما يحيط بها من الاخطار ثار قلبه ونسى كل ما يمكن أن يلقى فى سبيل الدفاع عنها ، وقبل مايعرضه الثوار ، وكان عن الخلافة راغباً . وقال عند ذلك كلمته القصيرة الكبيرة الدلالة : « قد أجبتكم الأرى ، واعلموا اني ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، وإن تركتموني فانما أنا كأحدكم ، الا اني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم » .

على ان هذه الثورة وإن كانت في مظهرها هدماً قد كانت في الحقيقة بناء له خطر عظيم فى دستور الدولة العربية . فقد أظهر العرب بعنف ان الخليفة اذا قبل شرط المبايعة كان لزاماً عليه أن يفي بما تعهد به ، وانه ان لم يفعل كان للشعب ان يعزله . فان أبى ان يعتزل او يعتدل كان للشعب أن يثور عليه . واذن كان على الخليفة الذي يلي امر العرب بعد ذلك أن يحتاط ويحترس فى السير على منهاجه الذى بايع عليه . وبذلك تم بناء الدستور العربي الأول على أسس واضح صريحة ، فقد كان اختيار الخليفة فى ذلك الدستور من حق العرب جميعاً ، ولكن السنة التى سار عليها خلفاء العرب الأوائل جعلت اختيار الخليفة محصوراً ، فما كان الخليفة ليختار الا من قريش . وكان الخليفة يختار ممن تتوافر فيهم شروط الرجولة التامة والعدل الذي لايعرف ميلا ، وكان أساس الاختيار أن يعمل الخليفة بمقتضى برنامج صريح قائم على أحكام الكتاب والسنة والاستنارة بسنن الخلفاء الماضين . وكانت المبايعة من جانبين : جانب الشعب ، وجانب الخليفة ، فاذا خالف الخليفة شروط المبايعة كان للشعب أن ينقده ويطلب اليه الرجوع الى المنهاج القويم وإلا كان له ان يثور عليه . ولم يقف نمو هذا الدستور بعد ذلك لنقص فى القوة الحيوية فى الشعب العربي . بل قد تكلف خلفاء بني امية وبنى مروان شيئاً كثيراً من العناء وارتكبوا جرائم كثيرة وخاضوا الحروب والمخاطر قبل أن يستطيعوا أن ينقضوا أسس ذلك الدستور ؟

(تصحيح) ذكر فى المقال الاول الذى نشر فى العدد الماضي اسم مسلمة بن مخلد سهوا والصواب أبو طلحة الانصارى

خواطر في الشعر العربي

للأستاذ محمود البشبيشي
المدرس بدار العلوم

للرسالة الغراء فضل على الأدب العربي أن أتاحت لقرائها فرصا كثيرة للاطلاع على آراء ناضجة ، وبحوث طريفة في الأدب العربي ولقد أثار كتابها الفضلاء موضوعات طليّة في هذه الناحية لقيت من قادة الأدب والباحثين فيه عناية كبيرة ، تردد صداها على صفحات (الرسالة) وفي أندية الأدب ، وإذا كان من حق الرسالة على أدباء العربية أن يشكروا لها حسن مسعاتها ، فان من واجبهم أن يبوحوا بما يهتدون اليه من آراء حيال هذه الموضوعات ، ليكون للأدب من كتاباتهم وبحوثهم مدد لا ينقطع .

أثار الباحث المفضال (الدكتور محمد عوض) مسألة الشعر الذى لا يجري على سنن واحد ، وكان موفقا في تسميته (بمجمع البحور) كما كان جد موفّق في نقده وتجريحه حتى تركه هباء تذروه الرياح .

ولقد كانت صيحة (الدكتور) موفقة ، نبهت رجال العربية الى خطر داهم ينتظر الشعر العربي من هذه الدعوي الباطلة التى لم تعدم لها أنصارا ، ولم تعتمد في قيامها على دليـــل . لقد طالما صدّعت آذاننا بمثل هذه الدعوى ، فمن داع الى التحرر من القافية ، الى منادٍ بجمود الشعر العربي ، الى طارح لأوزان العروض المأثورة ، إلى غير هذه النزعات الطائشة الغامضة ، وأخيرا فوجئنا بفكرة التحلل من وحدة البحور ، وقرض الشعر علي غير نظام والسير فيه على غير هدى ، ولقد كنا نشفق على الشعر ذلك التراث المجيد أن تعبث به هذه المحاولات ، ثم يعود الينا شيء من الطمأنينة ، اعتمادا على مافيه من مناعة تقيه هذه الألاعيب ، غير أن دعاة هذه الفوضى الشعرية مافتئوا يعاودون الكرة بعد الكرة يريدون أن يتسللوا فى غفلة الرقباء الى حمى الشعر فيستبيحوه ، فاذا تمّ لهم ذلك جروا في طغيانهم ، وقضوا على أنصع صفحات الأدب العربى ، وأزهي رياضه ، وانضر وجوهه ، ثم نعبت غربانهم على أطلاله ، وقطعوا ما بين حاضر الأمة وماضيها ، وبنوا على اطلال ذلك الماضى المجيد ، ما خيّلته لهم أهواؤهم من أمانيّ وأحلام ،

لست أدري ماذا ينقم القوم من الشعر العربي ؟ وهو الذى ساير الدهر قرونا طوالا ، وماشى الحضارات على اختلافها ، واتسع للأغراض الشعرية على كثرتها ، واستقبل حكمة العرب واليونان بعزة الواثق بنفسه ، المعتز بقوته ، فما دعاه غرض الا لبّي ، وما أهاب به جديد إلا استجاب ، وما سمعنا أنه قعد عن حكمة المتنبي وأبى تمام ، ولا تخاذل دون مباهج الحياة وأغراضها فى بغداد والأندلس ، ولا قصّر يوم طُلب اليه ترجمة (الالياذة) ، ولا يوم دُعى لنظم (قمبيز) و (كليوباترا) ، بل ما رأيناه نفر ممن حمّلوه ما لم يخلق لأجله فنظموا به العلم ، وأطالوا به المتون ، فالشعر العربي خصب بطبيعته ، قابل للتجديد ومسايرة الزمن ، ولكن فى حدود العقل والمنطق ، وفى حدود السليقة العربية ، والحضارة العربية .

فماذا يريد القوم بعد ذلك ؟ وأي غرض يرمون اليه ؟ ماذا يريدون بمجمع البحور ؟ وهو نوع لاحظ له من النغم الموسيقى ، الذي هو روح الشعر ، وسرّ تقـــدمه على النثر ، هو لون من القول يريد أن يخدع الناس عن نفسه فلا يلبثون أن يعرفوا حقيقته ، ويدركوا أنه لا الى الشعر ولا الى النثر .

لقد أبان لهم (الدكتور) الفاضل ان هـذا بدع من القول لم تعهده اللغات الأخرى ، ولم ينزل اليه شعراؤها النابهون ، أمثال (شكسبير) وصاحب الشاهنامة ، وعهدنا بأصحاب هذه الدعاوى ، اذا أخذهم الدليل أن يتشبثوا بأهداب التجديد ، ويجروا وراء الأدب الغربى ، فاذا كانت حجتهم داحضة ، وأسبابهم واهيـة ، وإذا كان فحول شعراء اللغات الأخرى لم يسفوا الى ا (مجمع البحور) فماذا عساهم يقولون ؟ ما أظن الباعث لأكثر هؤلاء الا الطموح الى الشهرة وذيوع الصيت ، يستهينون فى سبيله بلغتهم ، وهى مناط العظمة ، وديوان المفاخر ، ومظهر الكرامة والعزة القوميـة ، هم يحسدون الشعراء على مكانتهم ! ، ويحاولون ألا يقصروا فى كل مظاهر العظمة ، فيتعلقون بأهداب الشعر ، فاذا هو نافر منهم ، ويرون معاناة الشعر أمرا عسيرا على طبائعهم ، شـــديدا على نفوسهم ، ويدركون أن العقبة الكؤود دون الذى يريدون ، قوانين دعت اليها طبيعة الشعر كفن من فنون الموسيقى ، واقواها فى نظرهم وحدة الوزن والقصيدة أو ما يعبر عنه بالبحور ، فلا يهدأ لهم بال ، ولا يقر لهم قرار حتى ينفروا الناس من هـــذه القوانين لعلهم أن يحطموها ، فتصير طريق الشعر فى زعمهم واضحة معبدة ، وعند ذلك يستوى الشاعر والمتشاعر ، ويندس فى زمرة الشعراء الملهمين من لا يمت الى الشعر بسبب ، وقـــد نسوا ان الشعر كالموسيقى والصوت الحسن لا ينقاد الا لمطبوع عليه

رويدكم أيها الاخوان ! فما أنتم ببالغى هذه الغاية ! وان تراءت لكم قريبة المزار ، ان شعرا يفقد أهم عناصره وهي وحدة الموسيقى لجدير أن تمجه الآذان ، وتنفر منه الطباع ، وما كان هذا شأنه

من أدب الجاحظ

للاستاذ توفيق الحكيم

استاذنا الكبير الدكتور طه

انى أشكر أهل الكهف الذين قادونى اليك . واذا كان هذا هو الغرض من بعثهم فى كتابى فقد حق البعث نجح . الحقيقة ان رعاية الدكتور طه أثمن ما منحني القديسون الثلاثة من كنوز . وان صداقته التى أطمح اليها يوم أكون خليقاً بها هى مفتاح عملى الادبى فى المستقبل . إنه ليشق علي أن يمضى الاسبوع ولا ألقى الدكتور . فلقد وجدت في حديثه الجيل زادا روحيا لا غنى لى عنه .

تشرفت بلقاء الاستاذ الجليل لطفى بك ودار بيننا حديث طويل أرويه ان شاء الله عند اللقاء .

وبعد فقد كنت أقرأ الجاحظ منذ عامين فألفيت عنده كلاما كالحوار التمثيلي لم أر مثله فى الاغانى . وقد بدالى ان أنقل هذا الحوار على شكل « منظر صغير » دون تغيير فى الالفاظ والمعاني . انما سمحت لنفسى ببعض الحذف وبعض الملاءمة بين وضع الحوار الاصلى والوضع المسرحى بغير أن أمس جوهر الموضوع . حتي يبقى الفضل للجاحظ وللادب العربي . والحق انه حوار يذكر بألفريد دى موسيه فى « كوميدياته » وأمثاله . ان عناصر كل نوع من أنواع الادب والفكر موجودة عند العرب . لكنها مجرد عناصر . فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونفصلها ونبوّبها ؟ لماذا لا نضع مثلا كل حوار من هذا الطراز فى الشكل التمثيلى على قدر المستطاع . ونجمعه على أنه نماذج تمثيلية من الادب العربى . او على انه Rajeunissement للادب القديم بالباسه حلة جديدة دون تغيير للب ؟ اذا صح هذا فان مجال العمل فى الادب العربي القديم متسع . ولن تفرغ منه اجيال قادمة برمتها . والدكتور أول من بحث وحفر ونقب فى آثار الادب العربى . وأول من أدخل روح البحث والتنقيب فى الجامعة . والجامعات هى ميدان لمثل هذا العمل .

اذا كان الدكتور لا يوافقنى على ان عناصر القصص التمثيلى موجودة عند العرب . فما تراه يقول فى هذا « المنظر » وهو من تأليف الجاحظ :

الفراق

المنظر : باب دار كبير . جارية كأنها قضيب يتثنى . وهي والهة حيري واقفة فى الدهليز . وجائية تخطر فى مشيتها . يدنو منها شيخ ويسلم عليها فترد السلام بلسان منكسر وقلب حزين .

***

الشيخ : — ياسيدتى ! اني شيخ غريب أصابنى عطش فأمري لى بشربة من ماء تؤجرى .

الجارية: إليك عنى ياشيخ ، فاني مشغولة عن سقي الماء وادخار الاجر !

الشيخ : ياسيدتى لأية علة ؟

الجارية: (بعد تردد) لأنى عاشقة من لا ينصفنى ، وأريد من لا يريدني !

الشيخ : (يتأملها) ياسيدتي ، هل علي بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك

الجارية : انه لعمري على ذلك الفضل الذى ركب الله فيه من الجمال والدلال .

الشيخ : ياسيدتي ، فما وقوفك فى الدهليز ؟

الجارية: هو طريقه ، وهذا ان اجتيازه .

الشيخ : ياسيدتي . هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الاوقات

فلن يرقى الى درجة الشعر الصحيح ولن يجد من النفوس الا احتقارا ، ثم لايلبث ان يقبر فى مهده

وانه لخير مما تريدون ان يسمع الانسان كلاما منثورا منسجما لا تكلف فيه ، ولا تتعب أذنه في التوفيق بين انغام مختلفة متنافرة ، لاحظ لها من الشعر ، ولا روح لها من ألفة موسيقية ، وان يوما يستحيل فيه الشعر الى ما ذهبتم اليه لهو يوم القضاء على الشعر العربى وجناية هذا على الأجيال المستقبلة أخطر مما تتصورون .

ليس يجدي ماتدعون اليه أن يتجلى على الناس في حلة الشعر وأن يحمل بين يديه قيثارته ، فلن تلبث الحلة الخادعة أن تبدو مهلهلة شتى الصور والألوان فتقتذي بها الأعين ، ولن تلبث القيثارة أن تظهر أوتارها المتنافرة فتحجبها الآذان . ولا يلبث ذلك المسمى شعراً ان يبدو فى حلته عظاماً نخرة ، لاتقوى على الهواء فتعود رفاتاً سحيقاً ، فاعملوا للتجديد ان كنتم صادقين على دعائم ثابتة من القديم ، واذا يمضى أدبكم العربى الجديد فى طريقه قدماً ، ويتسع لما شئتم من جديد نافع ؟

أم حب مستحدث ؟

الجارية: (تتنفس الصعداء وتسيل دموعها على خديها كطل على ورد وتنشىء تقول :)

وكنا كغصني بانة وسط روضة نشم جنا اللذات في عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع فيا من رأى فرداً يحن الى فرد؟

الشيخ : ياهذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى ؟

الجارية : أرى الشمس على حائطه أحسن منها على حائط غيره ، وربما أراه بغتة فأبهت وتهرب الروح من جسدى ، وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل

الشيخ : عزيز على ؛ وانت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ، أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة . فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء ؟ أراك كنت مفتنة فى أرض البصرة !

الجارية : كنت و الله ياشيخ قبل محبتى لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال . ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنى هذا الغلام .

الشيخ : ياهذه ما الذى فرق بينكما ؟

الجارية : نوائب الدهر وأوابد الحدثان . ولحديثي وحديثه شأن من الشان . وأنبئك أمرى : انى كنت اقتعدت فى بعض أيام النيروز ، فأمرت فزين لى وله مجلس بأنواع الفرش وأوانى الذهب ، ونضدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار . وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجواري جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم ، وكانت الجارية قد ولعت بى ، وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتنى منهن. فلما حصلت عندى رمت بنفسها علي تقطعنى عضا وقرصا ... فبينا نحن كذلك اذ دخل علي حبيبي . فلما نظر الينا اشمأز لذلك ، وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم ، وعض على أنامله وولى خارجا . فأنا ياشيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته ، واستعطفه فلا ينظر الى بعين ، ولا يكتب إلى بحرف ، ولا يكلم لى رسولا .

الشيخ : ياهذه ، أفمن العرب هو أم من العجم ؟

الجارية: هو من جلة ملوك البصرة.

الشيخ : من أولاد نبابها أو من أولاد تجارها ؟

الجارية : من عظيم ملوكها .

الشيخ : أشيخ هو أم شاب ؟

الجارية :(تنظر اليه شزراً) : انك لأحمق . أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد ، وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة فى بياض . عطر اللباس ضارب بالسيف ، طاعن بالرمح ، لاعب بالنرد والشطرنج ، ضارب بالعود والطنبور ، يغنى وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شيء الا انحرافه عني لا انقصاً لى منه بل حقدا لما رآنى عليه .

الشيخ : ياهذه وكيف صبرك عنه ؟

الجارية : (حالى معه كحال القائل) :

أما النهار فمستهام واله وجفون عيني ساجفات تدمع
والليل قد أرعى النجوم مفكرا حتى الصباح ومقلتي لاتهجع
كيف اصطباري عن غزال شادن فى لحظ عينيه سهام تصرع

الشيخ : ياسيدتي ، ما اسمه وأين يكون ؟

الجارية : تصنع به ماذا ؟

الشيخ : أجهد فى لقائه وأتعرف الفضل بينكما فى الحال .

الجارية : على شريطة

الشيخ : وماهي ؟

الجارية : تلقانا اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة .

الشيخ : لا أكره ذلك

الجارية : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة . يكنى بابي شجاع ، وقصره في المربد الاعلى . وهو أشهر من أن يخفى .(تصيح فى الدار :) ياجواري دواة وقرطاسا ..

الشيخ : ياسيدتى وجب حقك علىّ . ولزمتك حرمتى لطول وقوفي عليكِ ، وكنت قد سالت شربة ماء ...

الجارية : استغفر الله ! ما فهمنا عنك . (تصيح فى الدار) : أخرج الينا شرابا من ماء وغير ماء

(تقبل وصيفتان تحملان الدواة والقرطاس فتشمر الجارية عن ساعدين كأنهما طومارا فضة ثم تحمل القلم وتكتب الرقعة . ثم تقبل ثلاثون وصيفة بايديهن الكئوس والجامات والاقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعا وشرابا فيشرب الشيخ ..)

ثقافة المرأة

للآنسة اسماء فهمي

درجة شرف فى الاداب

اتجه خاطرى نحو هذا الموضوع بعد قراءة تعليق « الرسالة » على خطاب الآنسة حياة التى تتشكى من أن صاحب « الرسالة » قد حرم المرأة أن يكون لثقافتها مظهر فى مجلته بجانب ثقافة الرجل ، ورد صاحب الرسالة بأنه لم يرد أن يسمح للرجال بالتحدث عن شؤون النساء الخاصة . ولست افهم تماماً المقصود بشؤون النساء ، أهى امور الدار وتربية الأطفال ، ام المراد مساهمة المرأة فى ميدان التحرير وطبع الأدب بطابعها الأنيق الخاص ، بصرف النظر عن الموضوعات النسوية البحتة ؟

وسواء أكان المقصود الأمر الاول ام الثاني ام الاثنين معاً فان موضوع ثقافة المرأة العامة ، هو ما ينبغي ان يبدأ ببحثه حتى نتبين ما اذا كانت ثقافة المرأة تنحصر فى دائرة خاصة ، وهل يحسن ان يكون لها تعليم وتهذيب يختلفان عن تعليم الرجل وتهذيبه .

وقد لايكون من غير الملائم لفت الانظار الى هذا الموضوع فى الوقت الذى تطور فيه تعليم الفتاة فى العشر سنين الاخيرة تطوراً عظيما ، فبعد ان كان تعليمها قاصراً على بعض الفنون المنزلية ومبادىء القراءة والكتابة وقشور اللغات الأجنبية ، اصبحت تتلقى من العلوم مايتلقى الفتى فى المدارس الابتدائية والثانوية ، كما اصبحت تدرس معه جنباً الى جنب فى الجامعات .

وبالرغم من ان مصر لم تبتدع ذلك النظام ، وانما نسجت فيه على منوال الأمم الرقية التى تأخذ عنها جل نظم الحضارة والعمران ، فان ذلك الانتقال لم يتقبله الكثيرون قبولا حسناً بعد ، لأنهم يرون فيه ضياعاً لوقت الفتاة التي خلقت لأن تكون أماً ، زاعمين ان سيكولوجية المرأة او تركيبها النفسى ، ووظيفتها فى الحياة تستدعيان اعداداً خاصاً وتعليما غير تعليم الرجل .

ويظهر ان انصار هذا المبدأ لهم تفسير خاص ، لأغراض التعليم ومعنى الثقافة ! أما مايفهم عادة من الثقافة فهو كل ما من شأنه تهذيب النفس وصقل العقل وتقويم العاطفة وتوسيع المدارك . وعلى ذلك يدخل تحت الثقافة العلوم بأنواعها والفنون والآداب والاخلاق ، وكل مايكتسب المرء من تجارب وتعليم عملي فى الحياة. ولما كان هذا النوع من الغذاء العقلى والروحى لا يستغنى عنه الانسان الذى يصبو الى الكمال ، وكانت المرأة انسانا لاتختلف عن الرجل من هذه الناحية ، فلابد لها من غذاء عقلى ومعنوى ايضاً ، ولما كان التكافؤ العقلى بين الجنسين اصبح من الامور المسلم بها ، وجب اذن ان يتغذى عقل المرأة كما يتغذى عقل الرجل حتى تصل الى حظ مثل حظه من الثقافة . نعم لا مفر الآن من تثقيف المرأة بالطريقة التي تتبع فى تثقيف الرجل ، اذ أصبح من الجلى الآن ان الطريقة القديمة لتعليم الفتاة لم تنتج غير مخلوق ناقص من نواح كثيرة ، بدليل هجران الرجل لمنزله فى كثير من الأوقات ، لأن شريكة حياته تعجز عن أن تمده بالنصح والمعونة ، كما تعجز عن جعل دارها مهبطاً للجمال والتسلية . أقول هذا القول وأشعر انى لو قلته في بلد آخر متمدين غير مصر ، لنظر الناس الىّ بمنتهى الدهشة ، نظرتهم الى من يخبرهم مثلا ان النهار فى الصيف اطول منه فى الشتاء ، ظاناً انه يذكر لهم امراً طريفاً ! .. ولكن مصر التى سارت بخطى واسعة جداً فى نواح كثيرة من نواحي التقدم والرقى مازالت تتردد في قبول بعض المبادىء التى تعد أساس الرقى الصحيح وعنوان الحضارة ، أعنى مساواة المرأة بالرجل في الحقوق وخصوصاً الثقافة .

وليس الغرض الرئيسى من تعليم الفتاة كما يظن الكثيرون تأهيلها لمزاولة مهنة من المهن كالمحاماة أو الطب أو الهندسة ، وانما الأهم أن تصل إلى حقها الطبيعى من اعتيادها التفكير المنظم

الشيخ : ياسيدتي . مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى ، فلم لا تأمرين إحدى الجوارى ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه . ؟ .

الجارية : لا تغالط ياشيخ . ! .

الشيخ : (يفهم مرادها ويطرق خجلا من هفوته) !

انتهى المنظر . وكان فى مقدورى ان اجعل منه فصلا كبيراً . لكننى آثرت أن أبقيه على أصله . لأن المسألة عندى هل نظهر العناصر مع بقائها على شكلها . أو نتصرف بها ونستعملها كما نشاء ؟ سنتكلم فى هذا اذا التقينا فى الاسبوع القادم

وإكسابها خلق الاعتماد على النفس والاعتداد بالكرامة، وذلك لا ينشأ إلا عند تبين مبلغ المقدرة الشخصية والاستعداد. ولا ضير إذا هى لم تستخدم تلك المعلومات بالذات فى حياتها المنزلية إذ الغرض الاساسى من التعليم كما يقول افلاطون فى «الجمهورية»: توجيه الروح إلى النور باعتياد التفكير المنتج وبالابتعاد زمنا ما عن قيود الماديات. والواقع اننا نحط من شأن التعليم كثيرا إذا نظرنا اليه قبل كل شيء كوسيلة لتحقيق غرض مادى فالتعليم يجب أن يعتبر غرضا في ذاته قبل أن ينظر اليه بتلك النظرة المادية سواء فى حالة تعليم المرأة أو تعليم الرجل. سأل مرة استاذ فى إحدى الجامعات الكبرى تلميذه لماذا يتعلم تعليما جامعياً ولم اختار التاريخ لفرع تخصصه. فكان جواب الطالب الصريح مما أهاج الاستاذ الذى لم ير مغضبا من قبل. وذلك انه أجاب انما يتعلم ليحصل على درجة عالية تمكنه من الحصول على وظيفة تضمن له رغد العيش ... ثار الاستاذ وغضب لأنه شعر أن تلميذه لا يتعلم لوجه العلم، وعلى ذلك فهو يفقد أهم شروط التهذيب الصحيح. فبغير هذا الشرط لا يمكن أن يمتزج العلم بالنفس أو بعبارة أخرى لا يمكن أن تحدث الثقافة.

وعلى ذلك تكون المرأة امتن ثقافة وأعمق تهذيبا لو تعلمت تعليم الرجل لانها فى الغالب تتعلم للعلم فيكون لانتاجها مظهر جذاب لأنه بعيد عن المؤثرات المادية التى كثيرا ما تعترض تقدم الرجل.

إلا أن ثقافة المرأة لاتكمل ولا يصبح لها أثر محسوس إذا علمناها علوم الرجل بينما تحرم مما يستمتع به من حرية وارادة مستقلة، وتحاط بسياج من التقاليد العتيقة والرقابة الخانقة، فهى فى هذه الحال تقول بمرارة: من لي بعيش الأغبياء.... كما أنه لا يمكن أن يصدر عنها ثقافة عالية، إذ ينقصها بسبب قيودها الشخصية والابتكار والصراحة والنظرة العملية.. وهكذا تبدو ثقافتها مبتورة وان تناهت فى الظرف وتألق فيها الذكاء الباهر.

وهنا قد يسأل سائل: وما مبلغ أثر التعليم المنزلى فى ثقافة المرأة؟ انى وإن كنت أريد تعليم المرأة تعليما عالياً ابتغاء وجه العلم، او استعدادا للعمل فلست ممن ينكرون ما للتعليم المنزلى من أهمية فى ثقافة المرأة. وهو لاينفعها عمليا فحسب، وانما لهذا التعليم أثر جميل فى انتاجها العقلى او مظهر ثقافتها. وقد كان يقال عن (جين اوستن) الكاتبة الانجليزية التي اشتهرت ببراعة الأسلوب وسمو الخيال ودقة التحليل انها انما اكتسبت الطلاوة فى التعبير، والدقة فى التفاصيل، من تدريبها الطويل على استعمال الابرة والمنسج. والواقع أن مثل هذا التعليم يكسب المرأة المقدرة على مراعاة النسب ودقة الاسلوب ودقة الحساسية، وكل ذلك يبدو واضحا الا أن ما يعترض عليه بشدة هو تضحية التعليم العام من اجل هذا التعليم المنزلى، بحجة عدم استخدامه عمليا فى وظيفتها الخاصة. انه لمنتهى الظلم الا ننظر إلى المرأة كانسان له حق كامل فى الحرية والتعليم قبل أن ننظر اليها كأم أو دمية منزل، بل ان منتهى الاستهتار بمواهب المرأة ان نكتفي منها بالقشور دون اللباب، فلا نحاسبها على عدم تعمقها فى التعليم وإنما ننظر اليها نظرة كنظرة اهل العصور الوسطى، الذين كانوا لا يطلبون من المرأة اكثر من اتصافها بالعفة والصيانة. أما الصفات الأخرى كالذكاء وبعد النظر والشجاعة والصراحة فلم يكن عليها اقبال يذكر؛ وإنما الاستكانة والخشوع كانا من أهم مميزات الكمال النسوى فى تلك العصور. ولقد كانت «جرزلدا الصبور» التى تحملت مرارة هجر الزوج وقسوته مثل الفضيلة والأمومة الصالحة عندهم... واخشى أن تكون (جرزلدا) هذه لا تزال المثل الأعلى للزوجة عند الكثير من الرجال..

إن التطورات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي تبعد الشقة كل يوم بين العصور الوسطى والعصر الحديث، تفرض علينا تغيير الآراء القديمة بالنسبة الى مركز المرأة وثقافتها. ففى حياتنا الحديثة المتشعبة المسالك الكثيرة المطالب، المملوءة بالصراع والتنافس لم يبق مكان للمرأة الساذجة الضعيفة. وعلى ذلك كان من الخطأ الكبير أن نتعمد انقاص تثقيف المرأة عن تثقيف الرجل، بل يجب أن يتناسب مقدار الثقافة مع وظيفة تلك التي تهز العالم بيسارها اذا ما هزت المهد بيمينها؛..

ولكن ماذا تكون النتيجة لو تعلمت المرأة كما يتعلم الرجل؟ هل تفقد مميزاتها الخاصة ولا يصبح هناك فرق بين ثقافتها وثقافته؟ الواقع أن الثقافتين لا تختلفان الا شكلا فقط، فيكون لثقافة المرأة وان اتحدت فى الجوهر مع ثقافة الرجل طابعها الخاص، إذ تتجلى فيها ما تمتاز به المرأة من حنان ورقة وتأثر بالعواطف والهام وحدة ذكاء وشدة حساسية.

وإنا لنأمل أن نرى أثراً واضحاً لتلك الثقافة النسوية «فى الرسالة» التي تعتبر بحق رسالة الروح الحديثة المملوءة قوة وابتكاراً وتجديداً

اسماء فهمى

الى الله . . ! !

للآنسة ناهد محمد فهمي

رباه طالما حادثتك في ليل السريرة . . . ! !

وطالما ناجيتك حزينة ومسرورة . . ! !

وكنت عقب صلواتي اسمع صوتك القدوس يدوى ، صداه في اركان روحي المادية . . ! !

عرفتك بالغريزة وأنا طفلة . . ! !

فكنت أتأدب كلما ذكروا اسمك العظيم . . ! !

لأني اعتقد دائماً أني في حضرتك . . ! !

وكنت اضطرب ، محبة واحتراماً وعبودية ، كلما فكرت انك تراني دائماً . . ! !

حادثتك وأنا في « الكتاب » اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فآمنت بك لرحمتك وحنانك . . ! !

لان الرحمة والحنان اول مايفتقر اليهما الناشيء في هذه الحياة القاسية . . ! !

* * *

عرفتك في « الليالى الممطرة » . . . ! !

فكنت أقف ساعات منصتة للرعد ،

فهو جلجلة همساتك . . . ! !

وكنت ارقب البرق . . فهو نور ابتساماتك . . ! !

غفرانك يارب ! !

اذا تخيلتك هكذا « بمخيلتي » الانسانية الضعيفة . . ! !

* * *

عرفتك في الربيع . . . حين مرت يداك القادرتان على وجه الارض . . . فتجلى صنعك البديع في النبات والورود ، وعرفت رحمتك في تلك النفحات الربيعية المعطرة وصوتك « في أهازيج الطبيعة البهيجة . . ! ! فايقنت برحمتك وآمنت بجنتك . . . ! !

* * *

عرفتك في « الصيف » . . فاعتقدت بجبروتك وآمنت « بنارك » وفي الخريف فآمنت بالموت والفناء والمرض ، وعلمت أنك الباقي ونحن الفانون . . . !

* * *

عرفتك في النهار عند ماملأت انوارك عيني وبهرت آياتك لبي . . ! !

وعرفتك في الليل حينما باحت لى النجوم الزواهر بسر عظمتك ، وبعث الظلام الحالك في نفسي معنى رهبتك . . ! !

* * *

الادب والحيـــاة

للاستاذ زكي نجيب محمود

تطغى على العالم موجة مادية تجتاحه أصولا وفروعا ، وتريده على ان يحمل تراث الانسانية الادبي ، منذ فجرها حتى اليوم الراهن ، فيأخذ سمته نحو اليم ، فيلقي بذلك التراث في لجة مالها من قرار ، ثم يعود وقد ازاح عن كاهله ذلك العبء المضني من دموع الشعراء وأنينهم وهزات نشوتهم وسرورهم ، وغير ذلك من نزوات الطفولة التي لاتدعو اليها ضرورة ولا شبه ضرورة في هذا العصر الحديث ، أن يتوفر على أزيز المعامل ومقارع الآلات ، التي لاينبغى أن يطرب لسواها ، أو ينصت لصوت غير صوتها !! وماذا يغنى دانتي وشكسبير بجانب علوم الطبيعة والكيمياء ، التي على أساسها تعمل المطارق وتدور الارحاء !! وفي ذلك يقول الكاتب الانجليزي توماس بيكوك : « الشاعر في عصرنا هذا نصف همجي يعيش في عصر المدنية ، لانه يقيم في الزمن الخالي ، ويرجع بخواطره وأفكاره وخوالجه وسوانحه الى الاطوار الهمجية ، والعادات المهجورة ، والاساطير الاولى ، ويسير بذهنه كالسرطان زحفا الى الوراء . . . . . لقد كان الشعر نقرة تنبه الذهن في طفولة الهيئة الاجتماعية ، ولكن من المضحك في عصر النضج العقلي أن نعنى بالاعيب طفولتنا ، ونفسح لها موضعا من شواغلنا ، فان هذا سخف يشبه سخف الرجل الذي يشتغل بألاعيب الصبيان ، ويبكى لينام على رنة الاجراس الفضيه »

هكذا يقال عن الادب الآن ، كأنه عرض من اعراض الحياة ، لا يمسها في الجوهر والصميم ، والواقع أننا حين نتنزل عن الادب وسائر الفنون ، فاننا انما ننزل عن نفوسنا ، لان هذه وتلك شيء واحد اختلفت اوضاعه

وللشاعر الفيلسوف طاغور تحليل يبين به موضع الفن من اساس الحياة ، وأنه ضرورة لازمة لامناص منها ، ونحن نورد للقاريء خلاصة موجزة لذلك البحث الجليل :

عرفتك في كل مظهر من مظاهر أكوانك

وناجيتك في كل سورة من سور قرآنك

ولكني بعد هذه المعرفة الطويلة ، والمناجاة المتصلة اسمع في في جوانب نفسي سائلا يسأل : هل عرفتك حقيقة يارب ؟

من الحقائق البديهية، ان الانسان مرتبط بهذا العالم بصلات شتي، فهو يعيش فى مضطرب الحياة مدفوعا بطائفة من الحاجات التى يتحتم عليه تضاؤها وهو فى تلك المحاولة مضطر الى ان يتصل بالعالم اتصالا ليس له عنه منصرف ولا محيد

فالحاجة الجسمية تملي عليه ان يفلح الارض ويتعهد الزرع حتى يثمر له القوت، وان يلتمس من الطبيعة مسكنا وملبسا يدفعان عنه القر والهجير

والحاجة العقلية تريده على ان يمعن النظر ويستقصى البحث فى مظاهر الكون، لان العقل لايقنع بالنظر الي الاشياء الخارجية دون أن يتتبع العلل ويكتشف القوانين العامة التى تنتظم جميع الجزئيات، فهو مطبوع على هذا البحث، ليخفف عن نفسه أعباء الحقائق الكثيرة التي تصادفه فى حياته، باختزالها في عدد قليل من القوانين، أو فى قانون واحد شامل أن استطاع الى ذلك سبيلا

وليست حاجة الانسان تقتصر على العقل والجسد، بل هو يحمل بين جنبيه نفسا لها مطمح تنشده وتسعى اليه، فهى بدورها مضطرة الى أن تتصل بالكون كى تلتمس عند مظاهره ما تصبو اليه، وهي بحكم وجودها تعالج ضروبا من المشاعر، فهي تموج بالأمل واليأس والسرور والغضب وغير ذلك من ألوان الشعور.

ولكن هذه الروابط التي تصل الانسان بالعالم لاتقتصر عليه دون سائر الحيوان، فهو يشاركه فى الحاجة الجسمية ويشاركه في الحاجة العقلية — ان صح اطلاق هذه الكلمة على الحيوان الاعجم — كما يشاركه فى مشاعره النفسية كذلك، الا أن أهم ما يرتفع بالانسان عن مرتبة الحيوان، ان هذا محدود في دائرة ضيقة جدا، لاتتسع لأكثر من الضرورات التي يقتضيها استمرار الحياة، فهو يبذل ما يبذله من مجهود لحفظ كيانه، والاحتفاظ بجنسه، ثم لا يزيد على ذلك الا بمقدار ضئيل، أما الانسان فلا تكلفه الضرورة الا بقدر محدود ثم يبقى لديه من القوة ما يجول به حرا من الأصفاد والقيود، مثل الحيوان فى ذلك، مثل الزارع الذى ينوء باعباء الدين الفادحة فهو يكد و يكدح ويعمل ويشقى طول العام، فاذا ما حان الحصاد تسرب الثمر الي الدائن، و يخرج صاحبنا من المعركة صفر اليدين، أما الانسان فهو فى هذا التشبيه صاحب ضيعة واسعة النطاق، لا يفقد من دخله لا جزءا يسيرا، ثم ينعم بعد ذلك حرا لايتقف دونه سلطان و لا رقيب، أي أن لديه من ثروة الحياة ما يزيد على الحاجة الضرورية بقدر عظيم، وبذلك يتاح له من القوة والفراغ، ما يستطيع معه أن يعالج مختلف الشئون، لا باعتبارها واجبا حتما تمليه ضرورة الوجود، ولكن على أنها أغراض فى نفسها تقصد لذاتها

فللحيوان مقدار من المعرفة ولاريب، الا أنها معرفة ضئيلة محدودة، يستخدمها فى حفظ الحياة وكفي، فهو ملزم أن يدرس بيئته فى شيء كثير من الدقة ليستطيع أن يتخذ لنفسه من أركانها مستقرا يؤويه، وليتمكن من الحصول على طعامه وشرابه فى سهولة ويسر، وهو ملزم كذلك أن يعلم بعض خواص الاشياء من حيث اللدونة والصلابة مثلا، ليبنى ما يشاء من أوكار، ويعالج شئون الحياة الأخرى، وهو لابد أن يعرف للفصول المختلفة علامات تدل على قدومها. حتى يتهيأ لأجوائها المتباينة بالريش أو الفراء، هذه واشباهها معرفة لامندحة عنها لكل أنواع الحيوان للذود عن كيانها والاحتفاظ بوجودها. ولكنها لا تزيد على ذلك الا قليلا. والانسان أيضا لديه تلك المعرفة اللازمة لاستمرار الحياة — حياة الفرد والجنس — ولكن معرفته لاتقف عند هذا القدر القليل، بل تفيض معرفته فيضا غزيرا يطغى على تلك الحدود الضرورية، فهو يحصل جانبا عظيما من المعرفة لذاتها، وينشد العلم لأجل العلم، لايبغي وراء ذلك قصدا ولا غاية. ومن هذا الفيض العلمي تنشأ الفلسفة والعلوم.

وللحيوان جانب خلقى غير منكور، فلديه كثير من الايثار تراه واضحا في حنان الأم على صغارها أيا كان نوعها ويبدو

ذلك الايثار بارزا في هذه النحلة العاملة ، وتلك النملة المثابرة ، فهما تسعيان وتطوفان هنا وهناك ، تجمعان القوت ، ولكن لماذا ؟ لخلية النحل كلها أو لجماعة النمل باسرها . وهذا المقدار الضئيل من الاخلاق ، انما اوجدته ضرورة الحياة عند الحيوان ، أما الانسان فقد رسم لنفسه من التشريع الخلقى ما يربي على حاجته الضرورية أضعافا مضاعفة ، فهو يفرض على نفسه الخير لانه صالح للجماعة أولا ، ولكنه لايكتفي بهذا الفرض المتواضع ، بل يمعن فى ذلك امعانا بعيدا ، فينشد الخير محضا ويطلبه لذاته فقط ومن هذا الفيض الخلق ، نشا علم الاخلاق

وللحيوان شعور يحسه ويعبر عنه ، فهو يبغض ويحب ، وهو يسر ويحزن ، وهو يأمن ويخاف . ولكنه كذلك لا يعدو فى التعبير عن مشاعره ذلك الحد الذى تقتضيه ضرورة الحياة . أما الانسان ،فعواطفه — وان تكن قد نشأت فى الاصل لتلك الاغراض التي نشأت من أجلها عواطف الحيوان — الا انها قد جارزت ذلك الحد تجاوزاً فسيحا ، وتركت فى الأرض جذورها الأولى التى أخرجتها إلى الوجود ، وانبسقت عالية منتشرة بغصونها فى سماء اللانهاية ، نعم لدى ، الانسان من العواطف أضعاف أضعاف ما تتطلبه طبيعة وجوده ، وهذا الفيض الغزير العميق من المشاعر التى تضطرم وتحتدم فى الصدور ، لابد ان يجد متنفساً يتسلل منه ، ليعلن عن نفسه فى أنحاء الوجود ، وقد كانت الثغرة التى تدفق منها ذلك الفيض الشعورى هو الفن الجميل فى ضروبه المختلفة من أدب وتصوير ونحت وموسيقى وغيرها . إذ اتخذها الانسان أداة للتعبير عما يحسه من شعور ، وهذا الشعور الذى يلتمس طريقه إلى عالم التعبير في صورة فنية ، انما يكشف عن نفوسنا وما يدور فيها من احساس . وبعبارة أخرى ، أن الفنون وسيلة لابراز مشاعر النفس الانسانية ، دون الأشياء المحسة التى تتعلق بها تلك المشاعر ، وبذلك أتاحت للانسان أن يسكب نفسه أمامه ، فيراها ويلمسها ، وليس له عن ذلك بد بحكم تكوينه ، فهو حين ينظم القصيدة من الشعر ، أو يضرب على أوتار الموسيقى ، فان ذلك يوازى فى قائمة الضرورات الانسانية الملبس والطعام ، ومن هنا كان الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يعرف نفسه ويشعر بوجوده

ولما كانت الآداب والفنون هي شخصيتنا تدفقت إلى العالم الخارجى فى مختلف الأثواب ، كان لا يصلح موضوعا للفن إلا ما يتصل بنفوسنا وينتظم فى سلك مشاعرنا ، أوتغذوه عواطفنا ، فيكتسى الرضى أو السخط أو السرور أو الألم أو غيرها ، وعندئذ يصبح جزءاً منا ، يصح له أن يبرز فى صورة فنية . فعلمنا أن الأرض تبعد عن الشمس كذا ميلا لا يصلح موضوعاً للفن لأنه لا يمس نفوسنا ، أما منظر غروب الشمس فهو يثير فينا عاطفة ما — الاعجاب مثلا — فيمتزج المنظر بنا ، ويختلج فى نفوسنا ، ثم لا يلبث أن يسلك سبيله الى التعبير . وهكذا كلما اجتمعت مشاعرنا حول شيء معين فانها تجاهد فى الافصاح عن نفسها مستعينة في ذلك بالفنون ، ولما كانت معظم الاشياء التى تصادفنا فى الحياة تثير فينا لونا خاصاً من العواطف ، فالانسان فنان فى الكثير الغالب من نواحى الحياة . فهو يشيد دورا فخمة لمسكنه ، وكان يكفيه كوخ خشن ضئيل ، وهو يبتنى المعابد والمساجد الشامخة التي ترسل قبابها ومآذنها فى الفضاء . لينفس عن عاطفته الدينية ، وكان يكفيه حيز محدود فى العراء لأداء فريضته ، وهو يخطط المدن وينسق الحدائق ، ليرضى عاطفته الوطنية ، وهو يعنى بأثاث منزله وجمال ملبسه إلى آخر دقائق الحياة ، لماذا ؟ لأنها تمس مشاعره فتصبح قطعة من شخصيته لايسعه إلا ابرازها والاعلان عنها .

من ذلك نرى أن الفنون جميعاً هى الأداة التى يستخدمها الانسان ليتمكن من صب الوجود فى نفسه . ثم يعود فيسكبها شخصية تنبض فيها الحياة ، وقد اتخذت الفنون قوالب الجمال وسيلة الى ذلك التعبير ، كالتصوير والموسيقي والعبارة الجميلة ، فأدى ذلك الى اقتران الآيات الفنية بمعاني الجمال ، فالتبس الأمر على بعض المفكرين ، وذهب بهم الظن الى ان الجمال هو الغرض المقصود من الفنون ، والحقيقة انه أداة فقط ، استعملت للوصول الى الغاية الحقيقية ، وهى ابراز الشخصية الانسانية ، وقد تبع ذلك جدل ونقاش حول موضوع لم يكن ليحتمل النقاش والجدل ، وهو أيهما أفضل فى الأدب : المعنى أم المبنى ؟ فذهب فريق كبير الى تفضيل العبارة الجميلة ، وحجتهم فى ذلك ، أن المعنى أدخل فى باب العلوم منه فى باب الأدب ، أما اللفظ الجميل ، فهو فن خالص لأنه قطعة من الجمال ، والجمال أساس الفنون ! وفات هؤلاء أن جمال الأدب لايتحقق الا بمزج هذين العنصرين مزجاً (كيميائياً) لا يقبل التجزئة والتحليل ، فانت اذا أردت أن تتذوق لوناً من ألوان الطعام ، فلا تعمد الى تحليله الى عناصره الأولى لتختبر كل واحد على حدة ، بل لابد لك أن تتناوله وحدة متماسكة . كذلك الحال فى الأدب : الكل شيء آخر غير أجزائه . فالمعنى وحده قطعة من العلم ، واللفظ وحده كذلك جزء من علم البلاغة والنحو والصرف ، فاذا مزجت بينهما ، كان لديك

بذلك آية أدبية خالدة .

فالفنون ومنها الأدب ، هى أشخاصنا وأرواحنا ، في حين أن العلوم — كالأشياء نفسها — جامدة ميتة ، لاتتصل بنفوسنا ولا تظهر فيها الشخصية الانسانية . وقد أحسن فيكتور هوجو حين قال فى كتابه (وليم شكسبير) : « ينادى كثير من الناس فى أيامنا هذه — ولا سيما المضاربون وفقهاء القانون — أن الشعر قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ؟ ! الشعر أدبر زمانه ! الكأن هؤلاء القوم يقولون : ان الورد لن ينبت بعد ، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه ، وأن الشمس كفت عن الشروق ، وانك تجول فى مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة ، وان القمر لايظهر له ضياء بعد اليوم ، والبلبل لايغرد ، والاسد لايزأر ، والنسر لايحوّم فى الفضاء ، وأن قلل الألب والبرانيس قد اندكت ، وخلا وجه الارض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان . . . لكأنهم يقولون انه لا أحد اليوم يبكى على قبر ، ولا أم تحب وليدها ، وأن أنوار السماء قد خمدت ، وقلب الانسان قد مات »

والخلاصة أن الادب والفن بوجه عام ،ضرورة تحتمها المشاعر الزائدة على حاجة البقاء ، وأنها صورة دقيقة لنفوسنا ، تربطنا بالعالم برباط الصداقة والرحم ، بخلاف العلوم ، فانهاصورة العالم الخارجي ولا دخل للانسان فيها ، فهى من الانسان بمثابة الزائر الأجنبى الذى لاتصله بنا وشائج القربى . وأحسب أنا لو خيرنا بين العلم والأدب لما ترددنا لحظ في أن ننبذ العلم نبذا ، ونتمسك بالأدب ونعتز به اعتزازنا بالنفوس ؟

فى الأدب التركى

فهل كنت تعلمين ؟

اذكرى تلك الأيام ، تلك الليالي المقمرة ،
وحذارا ان تنسى سويعات الوصال الهنيئة ،
وبينا الناس فى مفاجعهم ينام يغطون ،
كان يصهرني النسيم المنبعث من شفتيك ...
فهل كنت تعلمين ؟

كنت تذهبين فابقى مرتعشاً ،
وآوى إلي فراشى الموحش باكياً منتحباً ،
اراقب النجوم والشهب المتساقطة كالمأخوذ ،
كنت مفتوناً بسحرك منذ عرفتك ...
فهل كنت تعلمين ؟

ينبثق الفجر فأسمع وقع نعليك على السلالم فيرتج قلبى ،
وارقب قدومك متحرقاً وقد امضنى الليل ،
فاذا بك تقبلين والكتاب تحت ابطك ،
فأشعر بمطرقته تحاول كسر ضلوعى بينما انظر إلى صدرك المجلل بسواد ثوبك الرهيب .

فهل كنت تعلمين ؟؟؟

حلب : ترجمة يحى جركس

الذكرى

ولىّ ربيع الحب من بعد ما	ضحى فؤادى كل ما يملك
وكنت ارجو قطف أثماره	اذا بها يا أسفا تهلك

تركت عهد الحب فى كوخه	وقلت يقضى والاسى بعد حين
وعدت ادراجى وكل الذي	خلفته للعيش . قلب حزين

وخلت فى طول النوى سلوة	تغنى عن الماضى وتخفي عليه
اذا بذكراى وما أوجع الـ . .	. ذكرى بهذا اليوم عادت اليه

حماه اسماعيل العظم

مآثر العرب في الفلك

مقدمة :

يعيب البعض علي العرب انهم لم يكونوا عمليين، ولم يعرفوا من العلوم الا قسمها النظرى ، وهذا الاعتقاد خطأ ، ويظهر فساده جلياً بعض الالمام بتاريخ العلوم ، إذ يتحقق لدى الباحث المنقب أن للعرب عدا ترجمتهم أهم نتاج قرائح الامم التى سبقتهم اضافات هامة وابتكارات جمة مبينة على التجربة ، على أساسها بني الغرب حضارته ، ولولاها لماتقدمت المدنية تقدمها الحاضر . والآن سأبحث بصورة مجملة عن أهم مآثر العرب فى علم الفلك ، وطبعاً لايمكننى فى هذه العجالة أن اجول كثيراً فى هذا الموضوع فهو أجل من أن يوفى حقه بمقالة ، ولقد سبقنا الغربيون الى البحث عن التراث العربى فى الفلك وغيره من العلوم والفنون ، وأظهروا الاكتشافات الفلكية التى للعرب وأثر ذلك فى تقدم العلوم الطبيعية ، وكان من ذلك ان اعترف المنصفون من علماء الفرنجة بخصب العقل العربى وفضل الحضارة العربية على حضارتهم التى ينعمون بها . .

اعتناؤهم بالفلك :

لم يعرف العرب قبل العصر العباسى شيئا يذكر عن الفلك ، اللهم الا فيما يتعلق برصد بعض الكواكب والنجوم الزاهرة وحركاتها وأحكامها ، بالنظر الى الخسوف والكسوف ، وبعلاقتها بحوادث العالم من حيث الحظ والمستقبل والحرب والسلم والمطر والظواهر الطبيعية ، وكانوا يسمون هذا العلم الذي يبحث فى مثل هذه الامور بعلم التنجيم ، ومع أن الدين الاسلامى قد بين فساد الاعتقاد بالتنجيم وعلاقته بما يجري على الأرض لم يمنع ذلك الخلفاء ولا سيما العباسيون فى بادئ الامر أن يعتنوا به وأن يستشيروا المنجمين فى كثير من أحوالهم الادارية والسياسية ، فاذا خطر لهم عمل وخافوا عاقبته استشاروا المنجمين فينظرون فى حال الفلك واقترانات الكواكب ثم يسيرون على مقتضى ذلك ، وكانوا يعالجون الامراض على مقتضى حال الفلك . يراقبون النجوم ويعملون بأحكامها قبل الشروع فى أى عمل حتى الطعام والزيارة (١) ومما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدماً كبيراً فى العصر العباسى كغيره من فروع المعرفة ، وقد كانت بعض مسائله مما يطالب بمعرفتها المسلم كأوقات الصلاة ومواقع بعض البلدان المقدسة وقت ظهور هلال رمضان وغيره من الأشهر اضف الى ذلك شغف الناس بعلم التنجيم ، كل هذه ساعدت على الاهتمام بالفلك والتعمق فيه تعمقاً أدّى الى الجمع بين مذاهب اليونان والكلدان والهنود والسريان والفرس ، والى اضافات هامة لولاها لما اصبح علم الفلك على ماهو عليه الآن .

قد يستغرب القارىء اذا علم أن أول كتاب فى الفلك والنجوم تُرجم عن اليونانية الى العربية لم يكن فى العهد العباسى بل كان فى زمن الأمويين قبل انقراض دولتهم فى دمشق بسبع سنين . ويرجح الباحثون ان الكتاب هو ترجمة لكتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب الى هرمس الحكيم ، والكتاب المذكور موضوع على تحاويل سنى العالم وما فيها من الأحكام النجومية ، (٢) وأول من اعتنى بالفلك وقرّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ابو جعفر المنصور الخليفة العباسى الثانى ، وبلغ شغف المنصور بالمشتغلين بالفلك درجة جعلته يصطحب معه دائماً نوبخت الفارسى ، ويقال ان هذا لما ضعف عن خدمة الخليفة أمره المنصور باحضار ولده ليقوم مقامه فسيّر اليه ولده أبا سهل بن « نوبخت » ، وقد ساعد المنصور كثيراً ابراهيم الفزارى المنجم وابنه محمد وعلي بن عيسى الاسطرلابى المنجم وغيرهم ، وهو الذى أمر أن يُنقل كتاب فى حركات النجوم مع تعاديل معمولة على كردجات محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من أعمال الفلك من الكسوفين ومطالع البروج وغير ذلك . وهذا الكتاب عرضه عليه رجل قدم سنة ١٥٦ هـ من الهند قيم فى حساب السندهنتا ، وقد كلف المنصور محمد بن ابراهيم الفزارى بترجمته وبعمل كتاب فى العربية يتخذه العرب اصلا فى حركات الكواكب ، وقد سماه المنجمون كتاب

(١) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي — ج ٣ ص ١٩٠

(٢) كرلونلينو — علم الفلك — ص ١٤٢

السندهند الكبير الذي بقي معمولا به الى أيام المأمون (١) وقد اختصره الخوارزمي وصنع منه زيجه الذي اشتهر في كل بلاد الاسلام (٢) ، وعول فيه على اوساط السندهند وخالفه فى التعاديل والميل فجعل تعاديله على مذهب الفرس وميل الشمس فيه على مذهب بطليموس، واخترع فيه من انواع التقريب أبوابا حسنة ،وقد استحسنه اهل ذلك الزمان وطاروا به في الآفاق »(٣) وفى القرن الرابع للهجرة حوّل مسلمة بن احمد المجريطي الحساب الفارسى الى الحساب العربى.

بعض فلكييهم :

زاد اهتمام الناس بعلم الفلك وزادت رغبة المنصور فيه ،فشجع المترجمين والعلماء ، وفى مدة خلافته نقل أبو يحي البطريق كتاب الأربع مقالات لبطليموس فى صناعة أحكام النجوم ونقلت كتب أخرى هندسية وطبيعية أرسل المنصور فى طلبها من ملك الروم ، واقتدى بالمنصور الخلفاء الذين أتوا بعده فى نشر العلوم وتشجيع المشتغلين فيها ، فلقد ترجموا الى العربية ما عثروا عليه من كتب ومخطوطات للأمم التى سبقتهم وصححوا كثيراً من اغلاطها واضافوا اليها . وفى زمن المهدى والرشيد اشتهر فى الارصاد علماء كثيرون امثال «ماشاء الله» الذى الف فى الاسطرلاب ودائرته النحاسية ، واحمد بن محمد النهاوندى، وفى زمن المأمون الف يحي بن ابى منصور زيجا فلكيا مع سند بن على،وهذا ايضا عمل ارصاداً مع على ابن عيسى وعلى بن البحترى ، وفى زمنه ايضاً أصلحت غلطات المجسطى لبطليموس، والف موسى ابن شاكر ازياجه المشهورة ، وكذلك عمل احمد بن عبد الله ابن حبش ثلاثة ازياج فى حركات الكواكب،واشتغل بنو موسى فى حساب طول درجة من خط نصف النهار بناء على طلب الخليفة المأمون ، وفي ذلك الزمن وبعده ظهر علماء كثيرون لا يتسع المجال لسرد اسمائهم كلها ، وهؤلاء الفوا فى الفلك وعملوا ارصاداً وازياجاً جليلة ادّت الى تقدم علم الفلك . امثال : ثابت بن قرة والمهانى والبلخى وحنين بن اسحاق والعبادي والبتانى الذى عده لالاند من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم كله، وسهل بن بشار ومحمد بن محمد السمرقندي ، وابو الحسني على بن اسماعيل الجوهري، وابو جعفر بن احمد بن عبد الله بن حبش ، وقسطه البعلبكى والكندى ، والبوزجانى وابن يونس والصاغانى والكوهى والمؤيد العرضى وأبنه وابو الحسن ، المغربى ومسلمة المجريطى وابو الوليد محمد بن رشد وجابر بن الافلح والبيرونى والخازن والطوسى وابن الشاطر والفخر الخلاتى وجمشيد والقوشجي والبطروجي والفخر المراغي ونجم الدين بن دبيران وعماد الدين الانصارى واولوغ بيك وقاضى زاده رومى والتيزينى والحزرى وفتح بن ناجية وابو الفتح عبد الرحمن والغزالى والتوفيقي وهبة الله والمدنى ومبشر بن احمد ومحمد بن مبشر . . . .

مآثرهم :

بعد ان نقل العرب المؤلفات الفلكية للأمم التى سبقتهم صححوا بعضها ونقحوا الآخر وزادوا عليها، ولم يقفوا فى علم الفلك عند حد النظريات بل خرجوا إلى العمليات والرصد ، فهم أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار ، وأول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة (١) وقالوا باستدارة الأرض وبدورانها على محورها وعملوا الازياج الكثيرة العظيمة النفع ،وهم الذين ضبطوا حركة أوج الشمس وتداخل فلك هذا الكوكب فى داخل أفلاك أخر (٢) ،واختلف علماء الغرب فى اكتشاف بعض أنواع الخلل فى حركة القمر إلى البوزجانى أو إلى (تيخوبراهى) ولكن ظهر حديثا أن اكتشاف هذا الخلل يرجع إلى ابي الوفاء البوزجاني لا إلي غيره (٣) .وزعم الفرنجة أن آلة الأسطرلاب من مخترعات تيخوبراهى المذكور مع أن هذه الآلة والربع ذا الثقب كانا موجودين قبله فى مرصد المراغة الذى أنشأه العرب (٤) ، وهم (أى العرب) الذين حسبوا الحركة المتوسطة للشمس فى السنة الفارسية ،وحسب البتانى ميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة ،وظهر حديثاً أنه أصاب فى رصده إلى حد دقيقة واحدة ، ودقق في حساب طول السنة الشمسية وفى حساب اهليليجية فلك الشمس فاستطاع أن يجد بُعد الشمس عن مركز الأرض فى بعديها الأبعد والاقرب وقد كانت النتائج التى وصل اليها قريبة جداً مما وصل اليه العلماء الآن (٥) والبتانى من الذين حققوا مواقع كثير من النجوم ، وقال بعض علماء العرب بانتقال نقطة الرأس والذنب للأرض، ورصدوا الاعتدالين الربيعى والخريفى، وكتبوا عن كلف

(١) ابن القفطي ـ كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٧
(٢) المقتطف مجلد ٣٩ ص ١٤٦
(٣) ابن القفطي ـ كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٧٨

(١) كاجورى ـ تاريخ الرياضيات ـ ص ١٠٦
(٢) سيديو ـ خلاصة تاريخ العرب ـ ص ٢٣٣
(٣) كاجورى تاريخ الرياضيات ـ ص ١٠٥
(٤) سيديو ـ خلاصة تاريخ العرب ـ ص ٢٣٣
(٥) المقتطف ـ مجلد ٣٩ ـ ص ١٤٨

الشمس وعرفوه قبل أوربا (١) وانتقد احدهم وهو ابو محمد جابر بن الأفلح المجسطى فى كتابه المعروف بكتاب اصلاح المجسطى وكان جابر يسكن فى اشبيليه فى أواسط القرن السادس للهجرة . وقد دعم انتقاده عالم آخر ، اندلسى وهو نور الدين ابو اسحق البطروجي الاشبيلي فى كتابه الهيئة الذى يشتمل على مذهب حركات الفلك الجديد (٢) ويقول الدكتور سارطون انه بالرغم من نقص هذه المذاهب الجديدة فانها مفيدة ومهمة جداً لأنها سهلت الطريق للنهضة الفلكية الكبيرة التى لم يكمل نموها قبل القرن العاشر (٣) وابحاثهم فى الفلك أوحت لكبلر « ان يكتشف الحكم الاول من أحكامه الثلاثة الشهيرة وهى اهليليجية افلاك السيارات » (٤) وأخيراً نقول ان العرب عند ما تعمقوا فى درس علم الهيئة « طهروه من ادران التنجيم والخزعبلات وارجعوه إلي ما تركه علماء اليونان علما رياضيا مبنيا علي الرصد والحساب وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية » (٥)

المراصد وبعض آلاتها والازياج :

لم يصل علم الفلك عند العرب الى ما وصل اليه الا بفضل المراصد ، وقد كانت هذه نادرة جداً قبل النهضة العلمية العباسية ، وقد يكون اليونان أول من رصد الكواكب بالآلات وقد يكون مرصد الاسكندرية الذى أنشىء فى القرن الثالث قبل الميلاد هو أول مرصد كتب عنه ، ويقال أن الأمويين ابتنوا مرصداً فى دمشق (٦) ولكن الثابت أن المأمون هو أول من أشار باستعمال الآلات فى الرصد ، وهو الذى ابتنى مرصداً على جبل قيسون فى دمشق وفي الشماسية فى بغداد ، وفى مدة خلافته وبعد وفاته أنشئت عدة مراصد فى انحاء مختلفة من البلاد الاسلامية ، فلقد ابتنى بنو موسى مرصداً فى بغداد على طرف الجسر ، وفيه استخرجوا حساب العرض الاكبر من عروض القمر (٧) وبنى شرف الدولة ايضا مرصداً فى بستان دار المملكة ، ويقال أن الكوهى رصد فيه الكواكب السبعة . وأنشأ الفاطميون على جبل المقطم مرصداً عُرف باسم المرصد الحاكمى ، وكذلك أنشأ بنو الاعلم مرصداً

(١) المقتطف - مجلد ٣ - ص ٦٠
(٢) مجلة الكلية الامريكية ببيروت مج ١٨ ج ٥ ص ٣٦٩
(٣) مجلد الكلية الامريكية ببيروت مج ١٨ ج ٥ ص ٣٦٥
(٤) المقتطف مجلد ٣ ص ٦٠
(٥) المقتطف مجلد ٣٩ ص ١٤٨
(٦) المقتطف مجلد ٣٩ ص ١٤٦
(٧) سيديو خلاصة تاريخ العرب - ص ٢١٠

عرف باسمهم ، ولا ينبغي أن ننسى ان مرصد مراغة الذي بناه نصير الدين الطوسى فى القرن السابع للهجرة من أهم المراصد التى قدمت بعلم الفلك تقدماً محسوساً ، ويوجد عدا هذه مراصد أخرى فى مختلف الانحاء كرصد ابن الشاطر بالشام ومرصد الدينورى باصبهان ومرصد البيرونى ومرصد اولوغ بك بسمرقند ومرصد البتانى بالشام ومراصد غيرها كثيرة خصوصية وعمومية فى مصر والاندلس واصبهان . . .

كان للرصد آلات وهي على أنواع ، وتختلف بحسب الغرض منها ، وهاك أسماء بعضها : اللبنة ، والحلقة الاعتدالية ، وذات الأوتار وذات الحلق ، وذات السمت والارتفاع ، والآلة الشاملة ، وذات الشعبتين ، وذات الجيب ، وذات المشتبهة بالناطق ، والاسطرلاب وأنواعه ، المتعددة وقد اعترف الفرنجة بأن العرب أتقنوا صنعته (١) وثبت ان الاسطرلاب وذات السمت والارتفاع والآلة الشاملة والرقاص وذات الاوتار والمشتبهة بالناطق كل هذه من مخترعات العرب عدا ما اخترعوه من المساطر والبراكير وعدا التحسينات التى أدخلوها على كثير من آلات الرصد .

فى هذه المراصد عمل المسلمون ارصادا كثيرة ، ووضعوا الازياج القيمة الدقيقة . وعلى ذكر الأزياج نقول ان مفردها زيج وفى معناه قال ابن خلدون «ومن فروعه (علم الهيئة) علم الأزياج وهى صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى اليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب فى افلاكها لأى وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة . ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها فى معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها فى جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين وتسمى الأزياج » (٢) ومن أشهر الأزياج زيج ابراهيم الفزارى وزيج الخوارزمى وأزياج المأمون وابن السمح وابن الشاطر وأبى حماد الأندلسى وابن يونس وأبى حنيفة الدينورى وأبى معشر البلخى والأيلخاني وعبدالله المروزى البغدادى والصفاني والشامل (لأبى الوفاء) والشاهى (لنصير الدين الطوسى) وشمس الدين وملكشاهى والمقتبسى (لأبى العباس بن احمد بن يوسف بن الكماد) و و . . . (البقية على الصفحة ٣٠)

(١) كتاب تراث الاسلام Le gacy of Islam ص ٣٩٥
(٢) مقدمة ابن خلدون ــ طبعه المعارف ص ٥٨٥

من طرائف الشعر

شوقية لم تنشر

نظم شاعر الخلود شوقي بك مجموعة من رائع الشعر الحكيم السهل لتكن للأطفال أدباً وثقافة، ويسرنا أن ننشر اليوم قطعة منها لم تنشر من قبل وعنوانها المظنونة (ولد الغراب)

ومُهدٍ في الوكر من | وَلد الغراب مُمزَّقِ
كرُوَيهبٍ مُتقلسٍ | مُتأزِّر مُتنطقِ
لبس الرَّمادَ على سوا | دِ جناحه والمفرقِ
كالفحم غادر في الرما | دِ بقيّة لم تحرقِ
وثلاثة منقار ورا | س والاظافر ما بقي
ضخمُ الدماغ على الخلو | من الحجى والمنطق
من أمه لقي الصغ | يرُ من البليّة ما لقي
جلبت عليه ما تذو | دُ الأمهاتُ وتتّقي
فتنت به فتوهمت | فيه قوًى لم تُخلَقِ
قالت كبرتَ، فشبَّ كا | وثبِ الكبارِ وحلّقِ
ورمت به في الجو لم | تحرِصْ ولم تستوثقِ
فهوى فمُزِّق في فنا | ءِ الدار شرَّ ممزقِ
وسمعت قافات تردّ | دُ في الفضاءِ وتَرتقي
ورأيت غرباناً تفرّ | قُ في السماء وتلتقي
وعرفت رنّة أمه | في الصارخات النُّعَّقِ
فأشرتُ فالتفتت فقلـ | ـتُ لها مَقالة مُشفقِ
أطلقتيه ولو امتحنـ | ـتِ جناحه لم تُطلقي
وكما ترفق والدا | كِ عليكِ لم تترفقي

أصداء الربيع

قمْ إلى جدّة الزمان وغيبْ | سورة الهم في مجالي ربيعه
خلصَ القلب من مآتم كانو | نَ وعاد الشادي إلى ترجيعه
عبقت بالسهول أنفاس آذا | رَ وساف المشتاق نفح الزهور
رقةٌ في الفضاء شاعت ولطفٌ | ساغ للنفس كالهوى في الصدور

واكتسى الدوح نضرة بعد عريٍ | ولكان ربّ في المشيب الشباب
وتغنى الحمام فيه وساحتْ | تحتَ أظلاله عيونٌ عذاب

وكأن الروض الذي نبهته | من كرىً غفوةُ النسيم العليلِ
طرفةٌ تملأ العيونَ بهاءً | أخلصتها يُمنى حبيبٍ جميل

قمْ إلى البشر والطلاقة وانفض | عن محياك كدرة الأيام
سيغول الحياة غول وتبقى | مُتع العيش حسرةً في العظام

وتناس الآلام يندمل الجر | حُ تنصب في مقلتيك الدموع
أنتَ أضريت بالفؤاد رزايا | هُ فضاقت بما تكن الضلوع

أنت أحسست من شجونك ما خيـ | ـات واخترت أن تكون شقيا
أنما الحزن والسرور اعتبارٌ | لم يكونا لولاه في النفس شيا

ايها القلب قد أظلك آذا | رُ ورفّت على الربا آصاله
فتزوّد منه ليومك حظا | قبل أن يوحش القلوبَ زواله

لا تسل عن غدٍ وخل المقادير | فقد كن في الغيوب وكانا
حسبنا من مغانم العيش يومٌ | حاضرُ السعد عن غدٍ أغنانا

أيها القلب إن دعاك التصابي | وثنيت العنان ضل ضلالك
لا تجب داعي الرشاد فقدما | شقيت في طلابه أعمالك

واعبد الحسن في الطبيعة طفلاً | برئت روحه، وفي الغيد سحرا
وفتونا ينهي الفتى عن نهاهُ | كلما دار بالمحاجر أغرى

أرسل الشوق هفة، وخفوقاً | يوهن الجسم أو يداوي ضناهُ
وابعث الحب في الجوانح برقاً | يهتدي ناظري ضحي بسناه

رفيق فاخوري — (سورية) حمص

نامـــــق كمال

للدكتور عبد الوهاب عزام

أبو الأدب التركى الحديث الذي نزل من أفكار الترك وقلوبهم منزلة لم ينزلها غيره. والذى لاتزال آثاره مدونة فى التاريخ التركى الحديث، محفوظة في قلوب الجيل الحاضر. ولد سنة ١٢٥٦ﻫ فى أسرة مجيدة يجمع تاريخها كثيرا من كبار الدولة العثمانية وكان أبوه مصطفى عاصم بك فلكيا، وجـده شمس الدين بك رئيس المابين فى عهد السلطان سليم الثالث، وأبو شمس الدين قعبودان أحمد راتب باشا الذى ينتهى نسبه الى الصدر الأعظم طريال عثمان باشا.

وأبو الشاعر من يكي شهر وأمه من قونيجه فى ألبانيا. وكان أبوه دينا متصوفا، فلما ولد المولود المظيم أخذه الى أحد الدراويش فدعا له أن « يكون كمالا للاسلام » تعلم كمال في دار أبيه ودرس فيما درس بها العربية والفارسية والفرنسية، ولم يتعلم فى المدارس الا تسعة أشهر.

وفى سن الثانية عشرة ذهب مع جده الى قارص وكان يمضى أكثر أوقاته فى الصين، ثم ذهب الى صوفيا حيث شرع يقرض الشعر وهو فى الرابعة عشرة من عمره. ثم عاد الى استانبول وهو ابن ١٧ فصار مترجما فى الباب العالى واتصل بجماعة من الأدباء الذين يكبرون الشعراء القدماء ويسيرون على نهجهم فشارك فى الشعر وعرف به ونشر ديوانا صغيرا تسمي فيه «نامقا» كدأب شعراء الفرس والترك في اتخاذ اسم شعرى يردده الشاعر فى منظوماته فيعرف به.

وكان شناسى افندى أحد أدباء الترك الذين تعلموا فى فرنسا يحتذى الشعراء الفرنسيين ويحرض ناشئة الأدباء على اتباع أسلوب جديد فى الأدب، وكان لمقالاته فى جريدته « تصوير أفكار » أثر عظيم على « نامق كمال »، واضرابه من الشبان، فاعجب كمال به وشارك فى تحرير جريدته ودعا الى تجديد تركيا فى السياسة والأدب وعظمت مكانته. فلما فر شناسى افندي الى باريس ١٢٨٠ﻫ (١٨٦٤م) خلفه فى تحرير الجريدة، فانتشرت « تصوير أفكار » انتشارا عظيما.

وقد ضاقت الحكومة العثمانية ذرعاً بمقالاته فأرادت أن تشغله ببعض المناصب فجعل متصرفا للقلعة السلطانية فى غليبولى زمناً قصيراً وهو فى سن ٢٣. وبعد حين أريد ارساله سفيراً الى بلاد العجم فأبى. وانتهى الامر بينه وبين الحكومة الى أن فر هو وجماعة من أنداده الى لندره سنة ١٢٨٢ﻫ (١٨٦٦م) ويقال انه ذهب اليها اجابة لدعوة مصطفى فاضل باشا ونشر في لندرة جريدة « المخبر » ثم نشرها فى باريس ونشر بعدها جريدة « الحرية » وفى باريس درس الحقوق والاقتصاد السياسى وترجم بعض الكتب من الفرنسية.

ولما مات الوزير عالى باشا سنة ١٢٨٧ﻫ رجع كمال الى استانبول فنشر جريدة « عبرت » فصارت أعظم الجرائد التركية. ولا يزال أدباء الترك يحرصون على صفحات هذه الجريدة ومقالاتها، وكتب اذ ذاك قصة « وطن ياخود سلستريا » فلم تحتمل الحكومة جرأته وصرامته، فنفته الى قبرص فحبس بها وكتب هناك قصته الأخرى « عاكف بك ».

ولما تولى السلطان مراد رجع الى استانبول بعد أن أقام فى منفاه ٣٨ شهراً، وشارك مدحت باشا وضيا باشا في تحرير الدستور.

ولما تولى السلطان عبد الحميد لم يصبر على أقوال كمال وأفعاله، فأخذ وحبس خمسة اشهر ونصف، شغل أثناءها بقراءة التاريخ ابتغاء أن يكتب تاريخاً للجيش العثماني. ولما برأته المحكمة مما اتهم به نفاه السلطان الى جزيرة متلين وهنالك كتب قصائد أعرب فيها عن شكاته وحزنه، وكتب قصتين « جلال الدين خوارزم شاه » و « جزمى » تناول فيهما بعض حادثات التاريخ الاسلامى. ثم جعل متصرفاً للجزيرة التى هو بها ثم نقل الى رودس وكانت أكثر ملاءمة

لصحته . وفى رودس شرع يكتب تاريخ الدولة العثمانية وقد جمع بها مكتبة حافلة مكتنه من التأليف ، ثم جعل متصرفا لمتلين فعاد اليها وواصل كتابة تاريخه على رغم مرضه ، حتى منعت الحكومة ان يطبع هذا التاريخ وأمرته ألا يستمر فى كتابته . وبعد سنة توفى سنة ١٣٠٥ هـ .

* * *

لايتسع المجال هنا لتعداد مؤلفات نامق كمال ، ولكن يمكن جمالها فى الديوان وثماني قصص ومؤلفات تاريخية ، منها « اوراق پريشان » التى ترجم فيها لصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح وسليم الأول ونوروز بك ، ومقدمة فى تاريخ الرومان والتاريخ الاسلامى ، وكتاب ردّ فيه مزاعم رينان الفرنسوى سماه: « رينان مدافعه نامه‌سى » ، وهو من أحسن ماكتب في رد ماكتبه رينان عن الاسلام . ومقالات عديدة هي من أروع آثاره .

ويتجلى فى كتب كمال حماسته وغيرته واخلاصه في سبيل وطنه والاسلام ، كما يتجلى الخلق العظيم ، والنفس الكبيرة ، والعزيمة الماضية ، والصبر على المكاره ، والخيال الرائع ، والتصوير الجميل ، والأعراب الحرّ عن آرائه ومشاعره .

ولا ريب أن كمالا هو خالق النثر التركى الحديث ، والذى مهد للأدباء الطريقة المثلى فى الشعر بعد أن هداه اليها شناسي افندى :

وهذه قطع من آثار نامق كمال وان آثاره لأعظم وأكثر من أن تبين عنها هذه القطع الصغيرة: قال من مقال منشور عن الشعر والشعراء:

— ١ —

الشاعر مخلوق من البسمات الحزينة : بسمات الطبيعة فى أشد أوقاتها وجدا وولها .

ترى في ضحكه أثر البكاء كقطرات الندى على صفحة الورد ، وتلوح في بكائه سمات الابتسام كقوس قزح فى السحاب المكفهر .

هو أشد الخلائق استئساراً للطبيعة ولكنه يحاول أن يسمو فوقها ، بينا هو لا يحسن تدبير أمره ، يبغى أن يدفع بذراعيه الضعيفتين كرة الارض إلى مركز كمال جديد ومحو سعادة آخر ، فاذا عيّ بما يريد أرسل أناته الحزينة كأنات البلابل فى الاقفاص خلف الحجب السوداء ، او صاح صياح النسور قد حلقت فى اللوح حتي ضاق بأنفاسها الهواء فأهوت مسرعة تملأ الهواء ، صرصرتها .

الشعر هذه الصيحات الأليمة ، والشعراء هؤلاء البؤساء الذين فطروا على هذه الفطرة ، لا من يؤلف التفاعيل والأفاعيل من خمسة عشر حرفاً أو يستطيع أن يؤلف القوافى من ثمان وعشرين كلمة . . الخ

— ٢ —

وهذه قطعة منظومة ختم كل بيت منها بكلمة « على رغم » وتمثل فى هذا التكرار اصرار النفس الكبيرة وثباتها على الدهر القلّب:

لست أبالى ان اعود تراباً على رغم عمري ، ولست أفرّ من عنصرى ، على رغم الممات .

لا تجعلن نفسك أذلّ من التراب الذى تطؤه ، اثبت على عزيمتك على رغم الدهر الذى لا ثبات له .

ما تمثل لى الباطل حقاً قط ، ولقد اعتمدت على « الحق » على رغم الآلهة كلها .

لا يخفينّ داهيةً آراءه ، أعرض على الناس ما تعرف على رغم الدهاة أجمعين .

إن كان لا بد للحياة على ظهر الارض من تمريغ الوجه بالتراب فاختر بطن التراب على رغم الحياة

رأيت مسير الكائنات شراً فاعتزلتها ، ووقفت فى هذه السبيل وحيداً على رغم الكائنات .

وما التفت قط الى الحظوظ الفاتنة على رغم مالاح فى طالعي من آلاف الحظوظ .

— ٣ —

وهذه أبيات من قصيدة حماسية طويلة .

رأيت ولاة العصر قد حادوا عن الاخلاص والصدق فهجرت المناصب عزيزا سعيدا . ان جرثومة هذا الجسم تراب الوطن ، فماذا يفيده أن يمزقه الجور والمحنة فى سبيل الوطن ؟

لا يعين الظلمة الا الأوغاد كما ينعم الكلب فى خدمة الصياد السفاح .

من يخش لوم الناس ولا يستح من نفسه فنفسه أحقر الناس عنده .

ان انتقام العقلاء من الدهر أن يعتبروا بحادثاته فيزدادوا جدا وصرامة واقداما .

انتصار الامة فى اتحاد قلوبها والرحمة فى اختلاف آرائها

ان عزيمة الرجل المكين تدير العالم ، والدنيا فى اضطراب من ثبات أولى العزم :

ليس على الاسد المسلسل عار ، ولكن العار علي الفلك الذى ينصب لحرب أولى الهمم .

نحن سلالة الكرام من بنى عثمان اختمرت طينتنا بدم الشهادة

(البقيه على صفحة ٣٠)

فى الأدب الغربى

من الأدب الفرنسى

شاتو بريانه

للاستاذ أبى قيس

(١٧٦٨ — ١٨٤٨)

ولد فرنسوارنيه شاتوبريان فى سان مالو وهو قدوة الكتاب فى القرن التاسع عشر ، أقتبس عن الفصحاء المدرسيين كبسكال وبوسويه وفولتير ، وتأثر ببلغاء الابتداعيين كرسو وبرناردان، ولكنهلم يقلد منهم أحداً . هو مصور ماهر لا يصف الامايشاهده بام العين فيثير في مخيلة قارئه أروع المشاهد ، ويبالغ فى الاتقان والمحاكاة حتى يجعل الغائب كالشاهد ، ففتح بذلك مغالق الطبيعة وكشف عن سواحر محاسنها .

وهو ذلك الشاعر الذى يصور ببراعة حركات الفؤاد ووثباته، والخطيب البليغ الذى يرتفع حجاب السمع لرائع تشبيهاته واستعاراته ، ولم يظهر فى القرن التاسع عشر أسلوب أفخم ولا أسلس ولا أكثر تنوعا من أسلوبه ، فكان لتبسطه فى فنون اليراع أماما للشاعر المبدع ، والكاتب الممتع ، والمؤرخ الصادق ، والناقد المنصف ، والخطيب المثير ، والقصصى القدير؛ وحسبك دليلا على مبلغ تأثيره فى كتاب عصره ان فكتور هوجو كتب على دفتره المدرسى وهو فى الخامسة عشرة مانصه : أريد أن أكون شاتوبريان أو لا أكون شيئا ! .

ومن روائعه : الشهداء وروح النصرانية ، ورحلة من باريس الى بيت المقدس وهي التىعربنا منها للرسالةوصفه لعرب فلسطين ، وحوادث آخر بنى سراج التى عربها الامير شكيب الأديب المنتج العجيب ، ولخصها صاحب النظرات ، واتالا التى نقلهافرح أنطون الى العربية

عرب فلسطين

العرب ، حيثما أبصرتهم ، فى فلسطين ومصر أو فى بلاد البربر ، قد ظهروا لى بقامة أقرب الى الطول منها الى القصر ، مشيتهم البخترية برشاقة طبعوا عليها ، وخلقتهم فى أحسن تقويم : وجوه مسنونة ، وجباه مقوسة عريضة ، وأنوف يزينها القنا والشمم ، وعيون نجل لوزية الشكل ذات نظر ندى عذب ، ثم لاشىء يشعرك منهم بوحشة ، وان لبثت أفواههم مطبقة أبداً : ذلك انهم اذا ما أخذوا فى التحدث اليك أسمعوك لغة تطربك نغمتها ، ويفغمك شذاها ، ولمحت ثغوراً يروعك البياض الناصع من ثناياها ، والشنب (١) ، مما يذكرك باسنان العسابر (٢) وبنات آوى

والعربى يرتدى — على الأغلب — جلبابا يشده الحزام على الخصر ، وتراه ينزع يده حينا من كم جلبابه هذا فيمثل لك الردية القديمة ، وتبصره حينا آخر يلتف بعباءة من صوف فتكون له رداء أو كساء أو وقاء من الحر بحسب التفافه بها أو طرحها على منكبيه أو رأسه ، وهو يمشى حافياً (أو منتعلا) ، ويتسلح بالبندقية والخنجر والرمح الطويل .

ان القبائل ترحل قوافل ، والابل تمشى قطاراً ، والبعير الاول منه يجره بحبل من مسد حمار هو قائد القافلة : فهو لذلك قد اكرم باعفائه من الاثقال ، وبما حبوه من أنواع الرعاية والاختصاص ، والعشائر الموسرة تزين الاباعر بالمخمل المهدب والريش والبنود .

أما الجواد فانه يكرم على قدر استيفائه لأقسام العتق والكرم، ولكنهم مع ذلك لايتسامحون فى سياسته أبداً ، فلا يحبسون الخيل، فى الظل ، بل يعرضونها للفح الهواجر ، مربوطة بالأوتاد من قوائمها الأربع ربطاً تجمد له فى مقرها ، وهي أبداً مسرجة ، وكثيراً ما تقضى نهارها على ورد واحد ، ولا تعلف فى اليوم كله الاحفنات

(١) الشنب : رقة الاسنان واستواؤها . (٢) جمع عسبر وهو نوع من السنانير الكبيرة التى تقطن اسية وافريقية ويلقبه الفرنجة بفهد الثلوج

من الشعير: ومثل هذا التقتير في العلف، مع أنه لا يهزلها، كفيل بتعويدها السرعة والصبر والقناعة.

راقني كثيرا جواد عربي كان مقيدا في الرمضاء. وشعر عرفه منتشر، وراسه منحن بين يديه التماسا لبعض الظل، وهو ينقد بعين وحشية صاحبه ناظرا اليه عن عرض شزرا، فاذا ما انت فككت قيده، وقذفت بنفسك على ظهره ازبد وحمحم. ثم نهب الارض نهبا.

ان كل مايروى لنا عن ولع العرب وغرامهم بالقصص هو حق لامرية فيه، وانا مورد لك على ذلك مثلا:

سمرنا ذات ليلة على الرمل من ساحل البحر الميت، وبات اللاحمة (١) حول النار المتأججة وبنادقهم ملقاة الى جانبهم على الارض والخيل، وهي مثلا على شكل دائرة، موثقة بأوتادها، وبعد ان حتسينا القهوة، وتجاذبنا اهداب الاحاديث، سكت هؤلاء العرب ماخلا شيخهم الذى كنت المح من خلال سنا النار حركات وجهه الناطقة، ولحيته السوداء. واسنانه البيض، والاشكال المختلفة التي كانت تتشكل بها اثوابه، وهو يمعن في سرد قصته. وكان اصحابه يصغون اليه الاصغاء كله، مائلين اليه برؤوسهم، ومقبلين بوجوههم على اللهب، وهم يصيحون تارة صيحة اعجاب وطرب، ويقلدون اوضاع الشيخ المحدث تارة اخرى، وبعض رؤوس من الخيل كانت ممتدة فوق السامر (٢) باعناقها، وانك لتتبينها في العتمة، فتكمل بها صورة تلك اللوحة الرائعة ولا سيما اذا انت اضفت اليها ناحية من البحر الميت ومن جبال فلسطين!

دمشق أبو قيس

(١) اهل بيت لحم (٢) اسم جمع بمعنى السمار

وكلاء الرسالة في الخارج

في الخرطوم	: عبد الرحمن احمد
في دمشق	السيد محمد كامل القصار صاحب مكتبة الحكمة
« حلب	السيد عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة العصرية
« العراق	: محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية
« صفاقس	: السيد محمد محمود الموتر
« مراكش	: عمر اشماعو

(بقية المنشور على صفحة ٢٧)

ونحن اولو المجد والهمم العالية الذين اخرجوا من عشيرة صغيرة دولة مسيطرة على العالم، ونحن أصحاب السجايا الرفيعة الذين يرون في ميدان الحمية تراب القبر أهون من تراب المذلة.

هلم أيها الفلك اجمع مظالمك كلها ثم اصمد الى فان كلت عزيمتي في سبيل الامة فأنا المرأة الهلوك...

أيها الظالمون احذروا منازلة أبطال الحق فان نار الحمية تصهر سيوف الظلم

« ٤ »

وهذه رباعية دائرة على الالسن من ماثور قوله:

ما حملت في حياتي بسلاسل الاسار
وان الدنيا تعرفني مبرأ من قيودها والآصار
هذا ميدان الحمية لاتفر أيها الجبار
فليمحك الله من هذا العالم أو فليمحني.

عبد الوهاب عزام

مآثر العرب في الفلك

(بقية المنشور على الصفحة ٢٥)

الخلاصة

وبالجملة فان للعرب فضلا كبيراً على الفلك.

(اولا) لان العرب نقلوا الكتب الفلكية عند اليونان والفرس والهنود والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها وهذا عمل جليل جداً لاسيما اذا عرفنا ان اصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية وهذا طبعاً ما جعل الاوروبيين ان يأخذون هذا العلم عن العرب فكانوا (اى العرب) بذلك اساتذة العالم فيه

و (ثانيا) في اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التي تقدمت بعلم الفلك شوطاً بعيدا

و (ثالثا) في جعلهم علم الفلك استقرائيا وفي عدم وقوفهم فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان

و (رابعا) في تطهير علم الفلك من ادران علم التنجيم؟

نابلس — فلسطين قدري حافظ طوقان

« عضو الجمعية الرياضية بلندن »



الرياح

للدكتور محمد عوض محمد

لعلنا معشر المصريين من أقل الامم اكتراثاً لأمر الرياح ، نعيش حياتنا كأننا لايهب علينا الا نسيم عليل أو ريح رُخاء ، لانستثنى من هذا غير شهر أمشير ، الذى ننعته بالأرعن . ولا يلبث أن يمضى امشير حتى نتناسى ان فى العالم عواصف وزوابع وأعاصير ، منها مايثير التراب ، وما يقتلع الشجر ، ويهدم المنازل والدور

علي ان هبوب الزوابع حتى في بلادنا — بلاد النعومة والسهولة ليس بالشيء النادر . وكثيراً مانحس فى امشير وغير أمشير من الشهور — تلك الحركة العنيفة فى طبقات الهواء ، وانها لتهب بنا فجأة ونحن عنها لاهون ، فاذا ابوابنا تقرع بعنف . ونوافذنا تكسر ، واذا سحب من العثير المطار تتخذ سبيلها الى اعيننا وآذاننا وانوفنا الرغمة .

وهذه الزوابع قد تدوم ساعة وبعض ساعة أو يوما أو بعض يوم ، ثم لايلبث الهواء ان يعود نسيما . ولا تلبث الريح أن تعود رخاء ، ونحن قوم سريعو النسيان ووطننا العزيز سريع الغفران

ومع ذلك فما اجدرنا أن يزداد اهتمامنا بأمر الرياح ، فانها من الامور التي تعنى بها طوائف عديدة من الناس فى كل زمن وكل بلد . فالشعراء مثلا من اكثر الناس اهتماما بالرياح . طالما ذكروها ونعتوها ، وحملوها رسائل الغرام ، بل قد تبلغ بالواحد منهم الجرأة أن يحملها القبلات والآهات والأنات :

وإنى لأستهدى الرياح سلامكم
اذا أقبلت من نحوكم بهبوب ،
وأسألها حمل السلام اليكم
فان هى يوما بلغت فأجيبي !

وطالما أثارت شجونهم ، وبعثت الحنين فى نفوسهم ، والدمع فى مآقيهم ، وما أسهل انهمال دموع الشعراء !

وكأنى بك أيها القاريء تتوهم أن هذا كله ليس بامر ذى خطر ، بل قد ترى انه من السخف أو دونه السخف ، وقد تكون فى هذا مصيبا . ولكن اذا كانت نظرة الشعراء الى الرياح خفيفة سخيفة فان نظرات الملاحين الي الرياح نظرات حادة جادة .

وليس من سبيل لانكار ما للرياح من أياد بيضاء يوم كانت هى القوة الفعالة التى تدفع السفن على اديم الماء . فعلمت الناس ان يتعارفوا وان يتعاملوا ويتعاونوا . وهدتهم لأن يتاجر بعضهم مع بعض ، ويتعلم بعضهم من بعض ، وكيف يستطيعون .. وياللاسف — ان يسطو بعضهم علي بعض ويفتك بعضهم ببعض ؟ :

كانت الرياح هى الوسيلة الوحيدة الى قطع البحار والتقريب بين البعداء .

ولئن كانت البواخر اليوم في غنى عن الرياح ، فانها لم تزل تخشاها وترهبها ، فان الرياح ما برحت قادرة على أثارة موج كالجبال ، تر تعد له فرائص الركب ، ويرتاع له الملاحون .

وهنالك سفن جديدة ، لا تجرى على صفحة الماء ، بل تشق عباب الهواء ، وتحلق فيه تحليق العقاب . وهذه تخشى الرياح وتحسب لها ألف حساب ، فلئن كانت دولة الرياح قد دالت على صفحات الماء ، فان لها فى عالم الطيران سلطاناً لا يزال فى أشد عنفوانه .

ثم إن هنالك طائفة من الناس أشد خطراً من هؤلاء جميعاً أو على الأقل تعد نفسها أعظم خطراً من الناس جميعاً — وهى طائفة العلماء ، علماء الطبيعة الذين يدرسون ظاهراتها ، ويحاولون أن يطلعوا على اسرارها . هؤلاء يهمهم أمر الرياح كما يهمهم كل شيء على وجه الارض وعلى غير وجه الارض ، وهم يعنونها ولكن لا على طريقة الشعراء . فلا يحملونها سلاماً ولا كلاما . بل يقيسون سرعتها باحكام ويعرفون اتجاهها بدقة ، ويشرحون لك ما يسببها وما لا يسببها ، ويعزون أقوالهم بأرقام ورموز يوهمونك بها أن فى الامر أسراراً غامضة وأن صدورهم هى خزانة تلك الاسرار .

* * *

والآن فلنتحدث عن الرياح حديث العلم أولا ، ثم نعود فنتحدث عنها حديث الأدب ، وهكذا نقدم للقاريء الغذاء الدسم فى البداية . تاركين الحلوى الى النهاية .

فلنذكر أولا ان هذه الكرة ، التي نزحف كلنا على سطحها ، يحيط بها غلاف عظيم من الهواء : غلاف لم يسبر أحد غوره تماماً ، وقد يكون عمقه مائة ميل ، وقد يكون مائتين ، بل لقد يكون

أكثر من هذا . وان سألت العلماء كيف عرفوا عمق الهواء ، ولو على وجه التقريب ، قالوا لك انهم يرقبون سقوط الشهب حين تندفع نحو كوكبنا العزيز ، فاذا رأوها تأخذ فى الاحتراق ، علموا انها قد بدأت تحتك بهوائنا ، فاذا استعانوا بآلات راصدة سليمة لم يتسرب اليها الخلل وكان عقل الراصد أيضاً سليماً لم يتسرب اليه الخلل أستطاعوا أن يعرفوا على وجه التقريب درجة ارتفاع الهواء عن أديم الغبراء .

وهنالك طرق أخرى يقاس بها عمق الهواء ، ولكن لن أتعب نفسى وأجهد القارىء فى شرحها وتفهمها . وقد يتفضل بعض الاصدقاء ، من العلماء ، بالرد على هذا المقال ؛ ثم يتوسع فى الشرح والبيان بما يشفي غلة الظمآن .

***

علمنا إذن أن هذا الكوكب يشمله الهواء من جميع النواحى . ولحكمة إلهية عظيمة قد أحيطت الأرض بهذا الغطاء الكثيف الذى يحول دون أن تنفذ إلى الفضاء رائحة ما بالأرض من أدران وآثام . وما يغشاها من بغى وظلم . . فلنحمد العناية التي عملت على وقايتنا شر الفضيحة ، فلم تطلع سكان السموات على ما انغمست فيها أرضنا من اثم ورجس وفسوق وعدوان .

***

هذا الغلاف العظيم الذى يحيط بالأرض ليس هادئاً ساكناً ، بل فيه حركة دائمة . وهذه الحركة هى التى نحسها حين نحس بهبوب الرياح . وأول سؤال يعرض لنا طبعاً هو : لماذا يتحرك الهواء ، ولماذا تهب الرياح ؟

إن الشاعر العربى يتساءل : « أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ؟ » ويريد هو وأتباعه من الغاوين أن يوهموا العالم أن الريح ما هبت من تلقاء كاظمة إلا لكى يستطيع حضرته أن يمزج دمعا جرى من مقلة بدم ! ونحن نؤكد للشاعر الفاضل أن الريح لا يهمها إذا كان يمزج دمعه بدم أو يمزج الماء بالراح أو الويسكى بالصودا .. وإذا كانت الريح قد هبت من تلقاء كاظمة ، فما ذلك إلا لأن الضغط الجوي شديد (عال) في جهة كاظمة وخفيف يسير (منخفض) فى الناحية التى كان بها الشاعر .

ولقد يقف القارىء عند كلمة الضغط هذه ويتساءل — وحق له أن يتساءل — كيف يكون في الجو ضغط شديد أو غير شديد ؟ انا نسلم بأن فى الأرض ضغطا وظلما ، واستبدادا يتفاوت من مكان إلى مكان ، ومن زمان إلى زمان . ولكن أيكون فى الهواء ضغط وهو تلك المادة اللطيفة ؟

والجواب على هذا السؤل بالايجاب . فان الهواء فى بعض النواحى شديد الضغط ، وفى نواح أخرى خفيف الضغط ، فيندفع الهواء من الناحية التى يشتد بها الضغط إلى الناحية التي يخف بها الضغط ، منحرفا فى سيره إلى اليمين قليلا فى نصف الكرة الشمالى ، وإلى اليسار فى نصف الكرة الجنوبى .

وهكذا تحدث الرياح .

وكلما كان الفرق بين الضغطين كبيراً . ازدادت الرياح شدة وقوة . فيكون الاختلاف بين الرياح : فمن نسيم عليل إلى إعصار عنيف .

* * *

ثم يعرض لنا سؤال آخر ، نحاول ان نفر منه فلانستطيع إلى الخلاص منه سبيلا . ذلك انا ، وان سلمنا بأن سبب الرياح انتقال الهواء من جهة ذات ضغط شديد (عال) إلى جهة ذات ضغط خفيف (منخفض) . فأنا لابد لنا من أن نتساءل لم كل هذا الاختلاف فى الضغط؟ألا يمكن تطبيق مبدأ المساواة المجيد ولو فى الهواء ، مع العلم بأن المساواة فى الظلم عدل ؟

هنالك لابد لنا أن نقرر ، والحزن يملأ قلوبنا ، أن ليس فى العلم — ويالأسف ! — مساواة . انظر حيثما شئت تجد التباين والاختلاف ! انظر إلى البحار تجد منها العميق الذى لا يسبر له غور ، والضحل القريب المنال . والأنهار منها الضعيف القليل الماء ، ومنها المفعم السريع الجريان . ثم انظر إلى اليبس تر فيه جبالا شاهقة قد رفعت رأسها فوق السحاب ، وفى ناحية أخرى ترى سهولا مبسوطة وأودية وطيئة .

إذن فلا عجب إذا اختلف ضغط الهواء على وجه الأرض واسباب هذا الاختلاف كثيرة ، وأهمها من غير شك اختلاف حرارة الأقاليم ، فحيث الحرارة الشديدة يتمدد الهواء ويخف وزنه وضغطه ويحاول الصعود الى أعلى ، فيندفع الهواء من جهات حرارتها أقل من حرارة تلك الأقاليم ، ليحل محل ذلك الهواء المتمدد الصاعد ، ويسد الثغرة التى أوشكت أن تحدث . واذا كنا نحن فى مصر نحس رياحا آتية من الشمال ، ذاهبة نحو الجنوب (نحو خط الاستواء) مارة ببلادنا العزيزة فتنعشها وتبردها ، ومن أجلها أحببنا لمنازلنا أن تطل على الشمال . فان هذه الرياح هى من ذلك النوع وهي الرياح التجارية (١) بالذات — تمر بنا وهي ذاهبة الى الأقاليم الحارة لكى تحل محل ذلك الهواء الخفيف المتصاعد فى تلك الأقاليم .

---

(١) سبب تسميتها بالتجارية — مع انها لاعلاقة لها بالتجارة فانها اذا ساعدت التجارة فى ناحية فانها تعترضها فى الاتجاه الآخر — انها ترجمة خاطئة للكلمة الانكليزية Trade مع ان هذه الكلمة لفظ قديم معناه مطرد . وكان أولي بنا ان نسميها الرياح المطردة لانها منتظمة الهبوب طول العام . والفرنسيون يسمونها l'Alizé وعلماء الاغريق سموها الرياح الانتظامية Etesian

هذا بعض السبب في اختلاف ضغط الهواء من مكان الى مكان . وهنا لك أسباب أخرى مثل دوران الأرض وتوزيع الماء واليابس وغير ذلك من أمور لا نريد أن نطيل شرحها خوفا من أن ينقلب هذا الحديث الى درس من دروس الجغرافيا .

. . .

بقيت ملاحظة لابد منها ، وهي ان المصريين وعلى الخصوص الطبقة المثقفة منهم ، قلما يلاحظون الرياح وهبوبها واتجاهها . فقد يختلف اتجاه الرياح في اليوم الواحد من أيام الخماسين مرتين أو ثلاثا ، فلا نتنبه الي هذا التغير في اتجاه الريح . وأقصى ما نلاحظ أن الهواء حار أو شديد . وانه قد انقلب فصار هادئا بارداً .

وان المرء لتأخذه الدهشة حين يقارن هذه الحال بما كان عليه العرب من دقة الملاحظة لهذه الظاهرة الطبيعية ، وكيف استطاعوا ان يميزوا شكولها وضروبها ، فراقبوا اتجاهاتها المختلفة وأطلقوا على كل ريح اسما يدل عليها . ثم لاحظوا ما بها من قوة وضعف ، وجعلوا لكل اسمه . وكذلك ميزوا الرطب منها والبارد والحار وما الى ذلك .

ولئن كان العلماء اليوم يرقبون اتجاه الرياح ويقيسون سرعتها وشدتها ، ودرجة حرارتها . مستعينين بآلات دقيقة فان العرب قد سجلوا هذا كله من غير استعانة بآلات . فمن حيث اتجاه الرياح نرى العرب قد ميزوا بين الرياح التي تهب من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، ورياح الشرق هي التي سموها الصبا ويقابلها من الغرب الدبور . وكانت الريح احيانا تهب منحرفة عن الجهات الأربع الأصلية فكان العرب يدعونها عند ذلك بالنكباء .

ثم أرادوا أن يميزوا بين الرياح الضعيفة المريضة والقوية العنيفة ، فاكثرها هدوءا النسيم التي تهب بنفس ضعيف ، ثم الرخاء السهلة ، ثم الحنون التي لها مثل حنين الابل ، ثم تليها الرياح الشديدة ، فالبارح التي تهز الأشجار

وتاخذه عند المكارم هزة
كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

ثم الهوجاء التي تجر وراءها ذيلا من التراب ، ثم الزعزع ، ثم العاصفة ، ثم الحاصب ، وهي التي تقشر الحصا من وجه الأرض (وأرسلنا عليهم حاصبا) .

وكذلك ذكر العرب أنواعا خاصة من الرياح ، فالزوبعة هي التي تدور في الارض دون ان تقصد وجها واحدا . والاعصار ريح تدور بقوة وتنعكس من الارض الى السماء . وهكذا نجد في العربية كثيرا من الدقة في التمييز بين الرياح القوية والضعيفة .

أما ملاحظتهم للرياح الحارة والباردة فلا تقل عن هذا دقة . فالريح البليل هي المنعشة ذات الندى التي ليست بالحارة ولا بالقارسة وكذلك الصراد ابرد منها قليلا . اما الرياح الشديدة البرودة فهي العريّة التي تهب عادة من الشمال :

وأنت على الأدنى شمال عريّة
تذاءب منها مرسغ ومسيل

ثم الريح الصرصر والحرجف والالوب .

اما الرياح الحارة فمن أسمائها الحرور والسموم والسعار وهذه الاخيرة اشدها حرا وسعيرا .

وليست هذه الاسماء كل ما ورد ذكره في كلام العرب عن الرياح ، بل ان هنالك أسماء اخرى عديدة . وما ذكرنا الذى اوردناه هنا الا لكي يرى القارىء مبلغ دقة العربي في ملاحظة الظاهرات الطبيعية ، وليس بين كل هذه الاسماء ما هو مترادف . بل لكل منها معناه الخاص الدقيق .

. . .

وبالطبع قد اكثر شعراء العرب من ذكر الرياح ، وبوجه خاص اكثروا من ذكر الصبا . واهل الحجاز يدعونها صبا نجد لأنها تهب عليهم من تلك الناحية .

وهي ريح لطيفة جافة ليست بالحارة ولا بالباردة . واظن الاكثار من ذكرها في الاشعار يرجع الى عذوبة اسمها اكثر مما يرجع الى عذوبة المسمى . اولعل شعراء نجد هم الذين اكثروا من ذكرها ، اذ كانوا يفدون الى الحجاز ليتاجروا بما لديهم من تمر وسمن ووبر ، ثم تهيج الصبا شوقهم الى اوطانهم فيصيح شاعرهم :

الا يا صبا نجد متي هجت من نجد ؟
لقد زادني مسراك وجدا على وجد

فالاصل في الغني بريح الصبا ان يكون صادرا عن النجدي وهو في الحجاز ، ثم يقول الآخرون بالتقليد .

وهنالك نظرية اخري لا تقل طرافة عن هذه ، وهي ان الوفد اذا اقبلت على مكة ، فان الفتى الحجازي قد يهيم بغانية من بنات نجد لا تلبث ان تعود بعد الحج الى وطنها الا زبز . فيطير قلبه وراءها شعاعا . ولا يزال بعدها تهيجه ريح الصبا وتشوقه .

أما بشار بن برد فزعم أنه تستهويه الجنوب ، على أنها عادة رياح حارة شديدة الحرارة . وللناس فيما يعشقون مذاهب !

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت وأهوى لقلبي أن تهب جنوب
وما ذاك إلا أنها حين تنتهي تناهى وفيها من عبيدة طيب .

ويعجبني في هذين البيتين مطابقتها في المعنى لبيتين قالها بعد بشار بالف سنة الشاعر الاسكتلندي الرقيق روبرت برنز . وهما قوله

« البقية على صفحة ٣٧ »



قصـــة مصرية

سفروت الحـــاوي

— ٢ —

ووقف الجمع برهة ينتظر رجوع الرجال الذين بعثهم صاحب الفندق وعلموا أنهم بحثوا عن بولص خارج الفندق وداخله من غير جدوى . فانفجرت المرأة ثانية بالصياح والتهديد

— انا بقولك إب راغطس بجوزى دلوقت أهه لحسن اوديك فى داهية .

— ياستى يعني انا حاخذه أعمل به ايه ، ياريت كنت عارف طريقه وأنا كنت والله اجيبه لك .

— امال راح فين الراجل ؟

— والله ياستي انا على علمك .

— لأ . ابدا . أنت عارف طريقه ! أنت سحرته بالجن الاحمر والاخضر بتوعك

— جن اخضر بتوعى ؟ ! ، هو انت صدقت انى اعرف جن وسحر ؟ ياستى أنا راجل على باب الله . وده كلام بس علشان آكل العيش .تعالى وانا أوريك الصندوق علشان تصدق .

— أصدق ؟ انا ماعرفشي أمور الجوى دي ، أنا حاوديك في داهيه . انت خنقت الرجل علشان تأخذ فلوسه ؟

ولولت المرأة وأمسكت بخناق الرجل بأصابع كأنها (ماشة النجار) فالتف الناس حولها وأخذوهما الى نقطة البوليس .

ولما لم تكن على سفروت مسئولية جنائية فقد أطلق سراحه بعد يوم فترك رأس البر تتحدث عن هذا الحادث المدهش وسافر الى غيرها من المصايف .

مر على ذلك الحادث عامان نسى فيهما الحاوى بولص وامرأة بولص الا فى فترات كانت تعاوده الذكري، فكان يتعجب للامر فى نفسه ويود لو عرف ماانتهى اليه امرهما حتى اذا كان ذات مساء وهو يدخل باب ملهى من ملاهي العاصمة كان وقتئذ يشتغل به لمح بائع سميذ جالسا يعد قروشه على الافريز وتبين فيه صاحبنا بولص فلما أيقن من صواب زعمه دنا من بائع السميذ هامسا :

— أنت بولص بتاع واقعة رأس البر ؟

فانتصب البائع واقفا فى رجفة تناثر معها بعض سميذه ونقوده وحاول أن يهرب . ولكن سفروت أوقفه وأعاد عليه السؤال فانكر واشتد في الانكار، وقال ان اسمه محمود، وأنه لا يعرف ما رأس البر ولا من هو سفروت ، ورأى الحاوى ان حديثهما وهياج محدثه قد يجمعان عليهما المارة ، فاخذ البائع الى حارة باب المسرح الخلفى وهدأ خاطره وأكد انه لا يضمر له كرها ولا ينوي شرا ، وان كل مابه انما هى رغبة شديدة فى أن يعرف السبب الذى حدا به الى فعلته الشاذة .

وبعد لأى اعترف البائع بانه هو بولص ورضى ان يدخل مع الحاوى الى غرفته الخاصة بالملهى حيث حدثه بخبيئة أمره . قال سفروت فيما تحدث به لبولص :

— طيب يعنى مالقتش الا صندوقي تختفى منه ! ماكنت تسيبها وتمشى من غير شوشرة وفضيحة ؟

قال بولص :

— ما جدرتش ابدا ياأخى .فكرة الهروب منها دى ماجتش فى دماغى الا فى رأس البر ، يظهر انها زى اللى خمنت باللى فى نيتي فكانت دائما فى رجليه ما تسيبنيش ١٠ دجايج لما طهجتنى وجطعتنى العشم . تعرف بعد ما نزلت بالصندوج وبعته لك فاضى ! انا طرت على الفلوكة اللى كانت تستناني فوج عندالطابية اخذتها ورحت على دمياط ومن دمياط ببجور الفجر على مصر

— يعنى كنت بتكرهها للدرجة دى ؟

— اكرهها ؟ ! انت متعرفشى جد إيه يمكن الواحـــد يكره مراته ياسى سفروت ، يكرهها ويكفر منها وينجن كمان . يا اخى ، أجول لها ياحنينه انا فى عرضك طلجينى : ابوس مركوبك ياحنينه تسيبينى . اعطيك ٥٠٠ جنيه . اعطيك الف جنيه . مفيش فايده ، يمكن انت ماتصدجشى ياسى سفروت

لكن انا كنت راجل غنى . انا كنت تاجر فى حسبة ٢٠٠٠ جنيه وكان عندي بيت كويس و ١٠ فدادين طين ملح ، وده كله سبته لها . اعمل ايه ! مفيش طلاج عندنا ياسى سفروت ، زى ماعندكم . هجيت وبعت سودانى ، وجصب ، وسميط واستحملت اجلام الشاويش وشخطه وعشت فى أوده بريال في بولاج كل ده عشان اهرب من وشها . جيت أغير ديني وابجه مسلم مطجنش ماهانش عليه ديني ياسى سفروت . دين الواحد زى ولده

ولاحظ سفروت أن توتر أعصاب محدثه لغ أشده ولاحظ دما قرمزيا يترقرق فى وجه الرجل الذى صبغته الشمس والقذارة بلون غرين النيل لحاول ان يهدئه ويواسيه ولكن بولص اندفع يقول:

ـــ دى رمبت لى وجع الجلب والله ياسى سفروت . انا كل ما افتكر المره دى جلبي زى اللى يُجتَّف . لا، لأدهي من كده انها لسه بتعتش عنى ! الأنكت من كده انها لا عاوزه فلوس ولا طين ، عاوزاني انا بس

ـــ يمكن بتحبك يا بولص .

ـــ بتحبنى !! لأ لأ . دامش عبارة حب دا جنون . دى تكرهنى زى العمى ياسى سفروت

وانتهى حـــديث الرجلين بعد وقت ، فخرج بولص يبيع سميذه وذهب سفروت الى مسرحه وهو يعجب لأمر الرجل .

وبعد بضعة أيام بينما سفروت يعد عدته للظهور على المسرح ، اذدخل عليه بولص وبعينيه بريق الجنون الذى يكون به فى ساعات هياجه ، فلما رحب به الحارى اظهر القبطى خشونة وجفاء كأنما هو يضمر عداء وشرا فسكت سفروت وقتا حتى تحدث بولص

ـــ انت فتنت عليّ ؟

ـــ فتنت ايه ؟ !

ـــ ايوه انت فتنت عليّ . انت اللى بلغت عنى للبوليس .

ـــ ازاي افتن عليك يامعلم ؟ ! هو انا لى صالح فى كده ؟ وحتى لو كان هو انا راجل خسيس للدرجه دى ؟ عيب ده يامعلم بولص متكلمشي كلام زى ده .

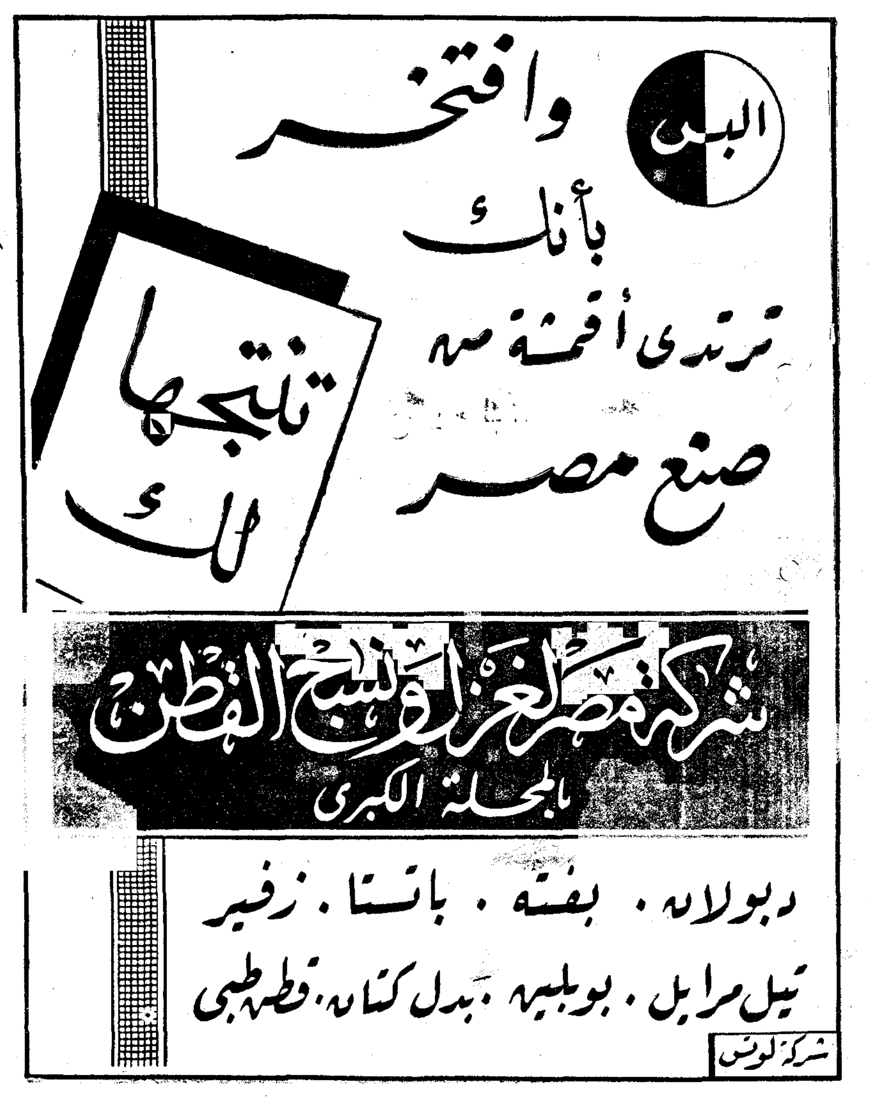
وقام بولص بعنف فأمسك بتلابيب الحاوي الذى ملكه الخوف والدهشة وصاح به قائلا .

ـــ انت مجرز ؟ احلف لى بالطلاج انك مبلغتش البوليس .

ولم بر الحاوى بدا من القسم بالطلاق ثلاثا انه لم يفعل شيئا من هذا فهدأ بولص واعتذر ثم شرح ماحدث له قال .

ـــ لما روحت امبارح جالت لى الولية جارتى ام شحاته ، أن واحد شاويش جه يسأل عنى فى النهار مرتين . اول مرة جه لوحده وأم شحاته جالت له ان مفيش ساكن اسمه بولص هنا . بعدين راح ورجع فى المغرب ، ومعاه حرمة طويلة ووجفوا يتحروا فى الحتة . ام شحاته جالت ان الساكن اسمه محمود بتاع السميط ، جامت الحرمة سألت عن وصفتي ، وام أحمد أعطتها وصفتي ، حنينة جالت أهو هو دا بولص . تصـــدج ياسى سفروت والله ماجدرتش ابات فى الأودة رحت اتلجحت فى الجامع اللى جنبنا لحد الصبح . أعمل ايه ياسى سفروت ؟ أهرب من حنينه فين ؟ المره دي مش ناوية تسيبنى الا ميت .

وأتت بهية تذكر سفروت بعمله فودع هذا بولص وذهب الى



المسرح. وقبيل نهاية الحفلة ذهبت بهية الي غرفتها لتغير ثوبها استعداداً للدور الاخير، وتركت الحاوى يشرح للنظارة أمر الصندوق ويعد له عدته، وتأخرت بهية فبينما هو يفكر فيما يفعل اذ أقبل بولص عليه من جانب المسرح بوجه أدكن وعينين بارقتين شاردتين مماذكر الحاوى بوجه الرجل في الليلة المقمرة. تقدم بولص وبه من الرجفة والذعر ما شغل الحاوى عن حرفته وانساه صيته وموقفه والنظـــارة الذين خفتت اصواتهم وأشرأبت أعناقهم في انتظار ما يكون، وهمس بكلمات متقطعة كحديث المحتضر قال:

ـــ خبيني... أنا فى عرضك خبيني... مراتى بره ومعاها شاويش... حطنى في الصندوج، حطنى في الصندوج!!!

ودخل القبطى الى الصندوق بغير انتظار وأقفل عليه بابه وقد ملك الدهش على سفروت أمره حتى فقد القول والفعل، ثم رجع الى نفسه بعد برهة ليتبينها امام حقيقة واقعة وليدرك ان لامخرج له سوى ان يخفي الرجل داخل الصندوق.

وقال سفروت فى نفسه: لو فلت القبطي فقد اسديت له يدا ولو لحقه البوليس فما علي من ذلك لوم ولا تبعة، وليس هو بالمجرم ولا انا بالخارق للقانون، وكل ماعلي الآن هو ان اسرع فى عملي واعطيه الفرصة ليهرب، ويقيني انه لن يرجع الى الصندوق فاذا دعوت بهيـــة بعد ذلك فسوف تقوم بحيلتنا كالعادة واما اذا أخرجته الآن من الصندوق بالقوة فسوف يكون من ذلك هياج الناس وتعكير صفو الحفل ومسؤوليتى امام المدير

ولم يتردد سفروت بل ربط الصندوق ووقف عليه وتحدث الى النظارة المذهلين عن جنه وعولمته الخ الخ، حتى اذا انتهى من الديباجة نزل. رفع الغطاء وهو موقن ان بولص قد خرج من الصندوق الى تحت المسرح ثم الى ماشاء له قدره

ولكن بولص لم يخرج من الصندوق ولم يتحرك ؟؟

روح بولص فقط هى التى بارحت الصندوق الى بارئها، اما جثته فقد بقيت لتسلمها حزينة !!

قال احد السامعين: غرضك بولص مات فى الصندوق ؟؟

فاجاب الراوى: نعم نعم، فى رواية انه مات بالسكتة القلبيـة وفي رواية اخرى انه مات منتحرا بطعنة سكين فى جنبه الأيمن، وان سفروت رأى دمه يسيل الى المسرح، ولكن مهما اختلفت الروايات فمن الثابت ان زوجة القبطى وجدت جثته هامدة لما ارتقت المسرح مع ضابط البوليس

وقال سامع ثان: طيب وجرى ايه لسفروت ؟

فاجاب الراوى: حدثنى صديق احمد عن صـديقه محمد ان الحاوى طلق حرفته بعد هـــذه الحادثة وانه يشغل الآن ترجمانا فى بلدته بور سعيد ولكن الله اعلم بحقيقة الأمر

وسأل سامع ثالث: ما اتهموش سفروت بقتل الراجل !

فتجاهل الراوى هذا السؤال لغباوة سائله. م. م. م

الى بئر جنـــدلي

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

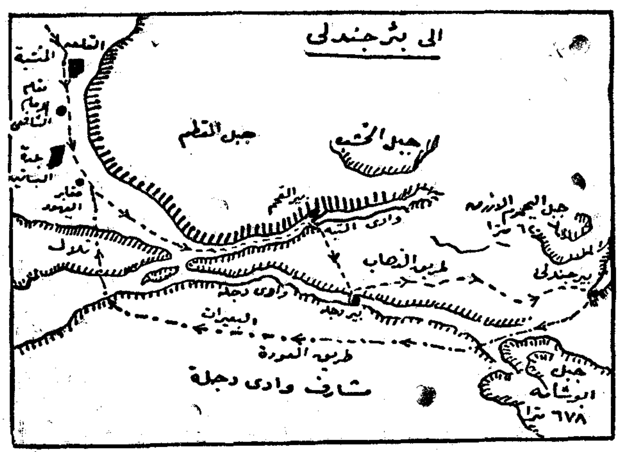
— ١ —

فى شتاء سنة ١٩٠٨، وقبيل أجازة عيد الأضحى، دعاني خالي إليه وابتدرنى قائلا وفى فمه ابتسامة:

ـــ هيا معنا إلي بير جندلى. غداً مساء سنغادر القاهرة.

ـــ بير جندلى؟ ماهذا ؟

ـــ رحلة صيد فى جبل المقطم تستغرق خمسة أيام، وسنكون مع أصدقائنا عائلة رشيد، وقد أعددنا لها العدة.



كانت مفاجأة، وأترك للقارىء أن يتصور وقع هذه المفاجأة فى نفس شاب لم يبلغ الثامنة عشرة، لايعرف عن جبل المقطم إلا القليل مما التقطه فى طفولته من أفواه العجائز فى أحاديثهم عن العفاريت والوحوش، أو عرفه من القراءة فى كتب وضيعة تصور لك المقطم قفاراً وفاوز لا نبات فيـه ولا ماء، وانه مسكن المردة والجان ومأوي جبابرة اللصوص وقطاع الطرق ومرتع الوحوش الضارية من نوع السباع والاسود التى يرسمها نقاشنا البلدى علي واجهات منازل الحجاج العائدين من الحجاز.

كان قد أزف الوقت فانصرفت أعد نفسي للرحلة علي عجل، وأذكر الآن وقد مضى على الحادث مايزيد على خمسة وعشرين عاماً، أني صرفت شطراً كبيراً من الليل فى تصفح ماكان عندى من الخرائط، متفرساً فى أسماء الجبال والسهول والأودية، باحثا بينها عن بئر جندلى، ولكنى لم أظفر بطائل، وأذكر كذلك أني لم أنم فى تلك الليلة إلا غراراً، فقد كنت مشرد العقل مهموما

قلقاً تتوارد على ذاكرتي حكايات الوحوش وقطاع الطرق وقصص الأهوال التي لاقاها رواد الجبال ، من عطش ، وجوع ، ومخاطر ، فينقبض لها صدري وتثور هواجسي ، ولولا ارادة قوية ، وإيمان ثابت ، لتغلب الضعف على نفسي ، ولأحجمت عن مصاحبة الجماعة .

بعد الغروب في اليوم الثاني اقلتنا عربة الى منزل عائلة رشيد بشارع الدرب الاحمر بالقرب من الحجر على بعد عشر دقائق من القلعة — منزل عتيق من طابقين له باب كبير ثقيل ومن خلفه دهليز يؤدى إلى فناء رحب تحيط به الحجر والمرافق وتطل عليه النوافذ والشرفات — في هذا الفناء شاهدت جملين مناخين حولها حركة عنيفة صامتة . فقد كان القوم منهمكين في إعداد لوازم الرحلة — فهذا يملا قرب الماء حتى إذا ملأها تعهد متانتها ثم أحكم ربطها إلى جانبي البعير ، وذاك يحزم الملابس والأغطية ثم يضعها على ظهره ، وثالث يرتب علب المأكولات داخل صندوقين من الخشب ثم يشدها بوثاق إلى ظهر البعير الثاني وهكذا — بعد أن تبادلنا التحية دخلنا حجرة واسعة قد جلس في صدرها رجل وسيم المحيا ملء الجسم طويل القامة كبير الشوارب وقد وخط الشيب شعره ، فاستقبلنا واقفاً مرحباً ثم قدمني اليه خالي قائلا — عمك عبد الله بك كبير الأسرة

— فلثمت يده على ما كان متبعاً في ذلك الوقت فضمني إلى صدره وقبلني في جبيني وقال وهو يلاطفني : انك الآن ياولدى تجيب داعي التقاليد في أسرتك !

بعد قليل هدأت الحركة في الفناء ، ثم نهضت الجمال وخطت نحو الباب وقد أمسك بزمام الجمل الأول شيخ يناهز الستين في لباس بدوى قد ارتسمت على وجهه جميع أمارات الثقة بالنفس والتوكل على الله ، وكان يقود الجمل الثاني شاب بدوى كذلك ممشوق القامة نحيل الجسم قد علق علي ظهره بندقيته وتدلى من صدره حزام للخرطوش

ولما مرت الجمال أمام النافذة اطل عليها عبد الله بك وقال بصوت هادىء رزين :

— على بركة الله يا شيخ سويلم

فأجاب الشيخ بصوت متهدج فيه غنة وبحة — بارك الله فيكم يا بك

— أين الانتظار ؟

— علي بير الفحم يا بك

خرجت الجمال إلي الشارع وقد انتصفت الساعة التاسعة وبخروجها شمل المنزل سكون عميق ، ثم اتجه عبد الله بك نحو منضد في جانب الحجرة قد ثبتت فيه آلة لحشو الخرطوش فأخذ يديرها بمهارة وخفة ، وبعد أن قضى في ذلك نحو نصف ساعة تناول من علاقة قريبة مناطق الخرطوش وملأ به عيونها ثم خرج

وبعد قليل عاد يتبعه اخوته الأربعة وهم جميعا في حلة الصيد من سترة مقفلة وسروال قصير وقدلفوا حول الساق « الفلاشير » ووضعوا فوق الرأس قبعات كبيرة على نحو ما يلبسه المهندسون زمن الصيف ، فجلسنا نتجاذب أطراف الحديث . وفي نحو الساعة التاسعة والنصف دق الباب فصاحوا جميعا ها قد أقبل الشيخ محمد — ثم دخل رجل في لباس بدوى فاستقبلوه باحتفاء وترحاب . وبعد أن استوى في مجلسه سأل عن الجمال فقيل له أنها بارحت المكان منذ ساعة ثم نظر إليّ وقال من هذا الصغير ؟ فقيل له ابن اخت احمد بك ، فمال نحوى وقال بلهجة عذبة هل تصاحبنا ياخي ؟ فقلت نعم . فقال هكذا يكون الشباب يا سادة ! — كان الرجل يكلمني وأنا مأخوذ فلم ار فيه الا وجها صغيراً تحيط به لحية خفيفة ، وجسما نحيلا وقامة قصيرة

وفي تمام الساعة العاشرة وقف الشيخ محمد وتناول بندقيته وثبتها على ظهره وفعل مثله الآخرون ثم قال هيا بنا يا سادة . توكلنا على الله نخفق قلبي خفقا شديداً ثم تقدمنا وسرنا خلفه في صفوف .

« لها بقية »

الريـــاح

(بقية المنشور على صفحة ٣٣)

Of all the airts the wind can blaw
I dearly l ke the west
For there the bonnie lassie lives
The lassie I love best.

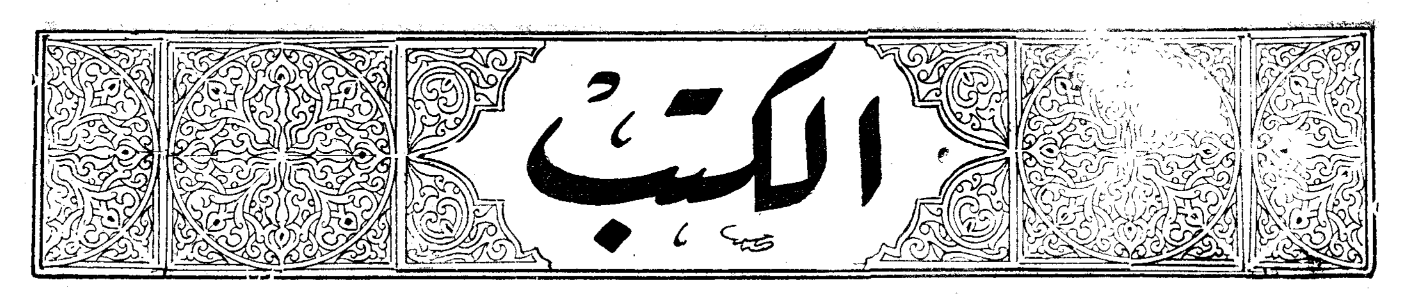
وتعريب البيتين

من بين الرياح التى تهب من مختلف الجهات
أحب حبا شـــديدا رياح الغرب
لأن هنالك تعيش الغادة الحسناء
الغادة التى أحبها أكثر من كل شىء

وهذا من أبدع الأمثلة التي يمكن ان تذكر في توارد الخواطر .

ولابد أن نختم الآن هذا المقال لأن حديث الشعراء كحديث العفاريت اذا فتحته فمن الصعب ان تسده .

محمد عوض



ثورة الأدب

من هيكل الى طه

اخى طه

لم تخلفني موعدك عند ظهور كتابي (ثورة الادب) فقد عودتني اخوتك الصادقة وصداقتك الخالصة كلما ظهر لى كتاب ان تتناوله بالبحث وأن تتناولنى بالثناء . بل عودتني هذه الاخوة أن تتناول بعض فصول كتبتها بالبحث فيها وبالثناء علي من أجلها . وتحت نظرى الآن ثلاث فصول من قلمك العذب أحدها عن كتابى « فى أوقات الفراغ » ، والآخر رد علي نقدى كتابك فى « الأدب الجاهلي » ، والاخير عن الفصل الذي كتبت عن النثر والشعر والذي احتواه كتابي الجديد . و في كل واحد من هذه الفصول كما فى غيرها من فصول ، نشرت السياسة ونشرت الاهرام من قبل هذا الثناء ، وهذا البحث الذى يسعرنى بمالك من أثر فى مجهودى وانتاجي بجعلك صاحب فضل فيه كبير . ولست أخفيك أنى مدين فى حياتى ككاتب لأشخاص كثيرين شجعونى وآزروني وعاونونى بوحيهم وبنقدهم وبحسن توجيههم إياى ، وانى ما أزال بحاجة الى هذه المؤازرة والي هذا الوحى إن كان قد قدرلى أن أنتج فى الكتابة شيئا جديدا ، ولعلى أستطيع يوما أن أفى لاصحاب الفضل هؤلاء ، بفصل على الاقل اكتبه ، فما أستطيع اليوم أن أحصيهم وهم كثيرون . لكنك كنت وما تزال ياصديقى في مقدمتهم كنت وما تزال كذلك حين ألقاك وأتحدث اليك ، وحين اقرؤك وأستمتع بجمال ما تكتب ، وعظيم لذته ودسم غذائه ، وحين أفكر فيك وفيما أثرت في الادب وفي تاريخ الادب العربي من ثائرات لما تهدأ . والحق أنه اذا كانت ثورة الادب مدينة فى هذا العهد الأخير لعدد غير قليل من الكتاب والادباء ، فهي مدينة لك باعنف ما فيها ، مدينة لك باشد ما فيها طرافة . وبحسبي أن أذكر ذلك لتعلم كم يفكر فيك من فكر وما يزال يفكر في ثورة الأدب ، ومن يعتقد بل من يلمس هذه الثورة ويرى أنها ما تزال لما تهدأ ، وانها ما تزال تحطم وتهدم ، وتحاول أن تبني كما حطمت الثورة الفرنسية النظم والطبقات . ولست أحاول الرجم بما عسى أن تتمخض عنه هذه الثورة حين يستقر الأمر الى التوليد الهادىء المطمئن ، ولعل صديقنا المازنى أقدر منى على هذا الرجم .

ولست أخفيك كذلك ان فصلك عن (ثورة الادب) أثار منى ابتسامات دهشة وخجل متصلين من أوله الى آخره فقد رأيتك تصورني فيه صورة لا أعرفها لنفسى ، صورة جن لا ينقطع انتاجه وأب لا يبخل على أسرته بحقها عليه ، وصديق لا يضن على أصدقائه بحقوقهم عليه . فلست أعرف لنفسى من هذا كله شيئا . إنما انا مقصر فى حقوق أصدقائى ، اكثر من مقصر فى حق اسرتى . ثم ماذا ترانى ياصديقى انتجت ؟ دعك من فصول يومية تكتب فى الصحف فانت اعرف الناس بتفاهة ما ينفق من مجهود فى هذه الفصول . ودعك من العمل فى حزب سياسى فانت ادرى بالسياسة المصرية : ما هى وما مبلغ الجد فيها . دعك من هذين وانظر واياى فيما انتجت . إنه لاشئ ، او لا يكاد يكون شيئا فانا رجل بيني و بين الخامسة والاربعين شهور ، وهذا انا لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

أم تحسب هذه الكتب القليلة مجهود جن ؟ ! ان يكن ذلك فهو جنى بليد ، يطوف فى الآفاق ثم يرضى من الغنيمة بالاياب ، أو هو كما ذكرت جنى هادىء مطمئن أفاق منذ حين قصير من نوم مريح . ولعلى لا آسف اذ أصف نفسى فى ذلك على حقيقتها . وكل رجائى أن أصل من الحياة الى حظ هادىء مطمئن يكفينى بعده أن أفى لاصدقائى بحقوقهم ولأسرتى بحقها ، وإلا اكون هذا الرجل المقصر الذى يعذر الناس تقصيره ويتوهمونه لكثرة عمله ، وما هى كثرة العمل وانما هو تقصير من جعله الحظ مقصرا .

وتذكر ياصديقي انك دهشت حين رأيتنى أعلنت عن (ثورة الأدب) اعلانا أمريكيا وانى سارعت فى اهدائى وكنت تعرفنى أشد الناس فتورا في الاعلان والاهداء ، وتتساءل ان كان الله قد رزقني عفريتا فى الاعلان ، وتكرر انك ما تزال دهشا لانك لم

تفهم بعد مصدر هـذه السرعة فى الاهداء والاعلان. وانى لجد حريص على ان تزول دهشتك. فلأدلك على هذا العفريت الذى رزقنى الله فى الاعلان والاهداء. هو النظام الجديد للمطبوعات والصحف. فقد تعلم ان هذا النظام يقتضى إجراءات، منها تقديم عدد من النسخ الى ادارة المطبوعات ومنها ان اية هيئة علمية أو أدبية أو دينية أو ماأدرى ماذا تستطيع أن توحى الى الحكومة فتصادر الكتاب الذي يطبع، وقد تصادر المطبعة التي طبع الكتاب فيها. ولعلك لم تنس قصة كتاب الخطيب البغدادي فى السنة الماضية وحسن بلائك فى الافراج عنه. وقد ابتلينا نحن من قبل بشيء من هذا، حين طبعت وصاحبي المازنى وعنان كتاب (السياسة المصرية والانقلاب الدستورى) فقد قدمنا منه خمس نسخ لادارة المطبوعات وأخذنا بها ايصالا وأردت بنفسى أخذ خمسمائة نسخة من الكتاب فاذا البوليس يحيط بي ويقتادني وكتبي الى قسم عابدين، واذا به يأمر الا ينشر الكتاب، واذا بى أضطر الى الالتجاء للنائب العام والى انتظار أسبوع أو نحوه حتى يفرج عن الكتاب. أفليس من حقى وذلك ما رأيت ان أحتاط لنفسى حتي لايقودني البوليس والجند مرة أخرى الى القسم. فانى لأؤكد لك ياصديقي طه ان مثل هذا الموقف ليس بما تستريح له نفسي ولا نفس أى رجل مثقف. ولتلاحظ ياصديقى أن عنوان كتابي (ثورة الأدب) .. واذا كنت مهما أثر لا أخيفك، او كانت الثورة لاتخيفك مهما تكن، فيخيل الى ان غيرك يخاف حين أثور وان لم أر نفسى يوما فى حاجة الى أن أثور، ويخيل الي أن غيرك يخاف من كلمة الثورة كما كان الاتراك فى العهد الحميدى يخافون كلمة الثورة و كلمة الحرية ولا يأذنون بنشرها. أو نشر ما يماثلها. فلكى أتقى البوليس والجند والذهاب الى القسم أعلنت الكتاب للناس وسارعت الى اهدائه أصدقائى حتى اذا صودر قبل نشره أو أصابته مصيبة من مصائب هذا العهد أكون قد تعزيت بما أهديت من بعض نسخه، وبأنى أعلنته للناس فخل بى وبه ما حل من ظلم وهضم.

هذا هو العفريت الذى لم تعرف ياصديقى مصدره. ولعلي إذ دللتك عليه وذكرت لك ما أصاب كتابى (السياسة المصرية والانقلاب الدستورى) عذيرى عن خروجى على ما طبعت عليه من فتور فى الاعلان والاهداء يعادل فتورى فى حق أصدقائي وفي حق أسرتي. فان رأيتنى مع ذلك بالغت فى الاحتياط فظهرت فى غير ما كان يليق بي أن أظهر فليس لى إلا أن اعتذر اليك وأن أعدك أني لن أعود اليها

هذا عن شخصى. وما أدرى ياصديقى ماعساى أقول لك فيما كتبت عن (ثورة الأدب) لقد أثار دهشتى وأثار خجلى فما كنت أحسبه ينال منك كل هذا التقدير، ولا كنت أحسبه جديراً به. وما عساى أقول فى تقديرك الكتاب بأنه «تاريخ صحيح دقيق للادب العربى المصري فى هـذه الأعوام الأخيرة من جهة وهو فلسفة ادبية رفيعة موضوعها ادبنا الحديث من جهة أخري» «وإنه كتاب، تمضى فيه فيخيل اليك أنك تمضى فى كلام مألوف ولكنك لاتكاد تفكر قليلا فيما تقرأ، او لاتكاد تلح فى القراءة حتى يفتح لك هذا الكتاب أبوابا ويبسط امامك آفاقا ما كنت تعرفها او تفكر فيها من قبل. واذا كل شيء جديد. واذا كل شيء طريف. وإذ الكاتب يخدعك ويمكر بك وان لم يرد خداعا ولا مكرا»، «وان المؤلف، هو المؤرخ العربى للأدب العصرى الحديث، وانه قد فرض بذلك نفسه، لا اقول على هذا الجيل وحده، بل اقول على الاجيال المقبلة ايضا... وان كتابه هذا سيصبح من المصادر القيمة للذين يريدون ان يدرسوا ادبنا المصرى فى نهضته هـذه الحاضرة) ما عساى ياصديقي اقول فى هـذا كله. اقول انه كثير. وانه أثار دهشتى وخجلي. واحسب صدق مودتك واخلاص اخوتك كان لهما اثر غير قليل فى املاء هذه العبارات ومثلها عليك، كما كان لهما اثر غير قليل فيما كتبت عن شخصى:

ولعلك أنت شعرت بهذا، وخشيت من أن يتهمك الناس بالاسراف في الثناء على صديقك اسرافاً يصرفهم عن حسن الاستماع له فأردت أن تحصى عليه وعلى كتابه بعض هنات تجعلهم أدنى إلى الايمان بعدالة ثنائك. وأنت على حق فيما أحصيت من بعض الهنات وإن كنت قد أسرفت في بعضها. فقد ذكرت أن هيكلا: «من أصحاب المعاني بين الكتاب وأنه يهمل لغته اهمالا شديداً ويتورط في ألوان من الخطأ واضطراب الاسلوب، يدنيه أحياناً من الابتذال. والغريب أنه لايضيق بذلك ولايجد به بأساً ولا يعترف بأنه يسيء إلى نفسه وإلى أدبه مغاً». والحق ياصديقى أنى لاأضيق بشيء ولا أجد به بأساً. لكنى أستأذنك فى أن أوجه اليك شيئاً من اللوم غير قليل. فنحن حقاً مختلفان في أمر اللغة والأسلوب خلافاً سأتلو عليك سببه. لكني لم أعرف قط منك أن لغتى وأسلوبي يدنياني من الابتذال. بل عرفت منك غير هذا. ولعلى لا أخطيء إذا وضعت تحت نظرك بعض عبارات كتبتها أنت فى هذا الشأن. فقد ذكرت حين كتبت فى السياسة الاسبوعية فى ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ عن كتابى (في اوقات الفراغ).

«... كذلك كنت منذ عشرين سنة أو نحو ذلك حين كنت تكتب فى «الجريدة» وكذلك أنت الآن. وإن يكن قد جد شيء فهو أنك ازددت فيما أنت فيه من القوة ثباتاً ورسوخ قدم، وانك استطعت

أن تملك اللغة العربية وتسخرها لأغراضك ، وقد كانت تستعصى عليك وتنتهي بك أحياناً إلي مايكره سيبويه والخليل ، وصديقك طه حسين . وأنت تذكر ماكان بيني وبينك من جدال متصل في هـذا الموضوع . فقد كنت أتهمك بقلة البضاعة فى اللغة العربية وكنت تجيبنى بأنى أزهرى . وكان أستاذنا لطفى السيد يسخر منك ومنى فى رفق وحنان . وقد مضت أيام وأعوام وما زلت أنا أزهريا كما كنت ، أما أنت فقد أتقنت اللغة العربيـة اتقانا ورضتها حتى ذلت لك . فأنت تستطيع أن تقول أنى أزهرى وأنا لا أستطيع أن أتهمك بالضعف فى اللغة العربية . ولكن لكل شيء حداً . فما رأيك فى أنك أتقنت اللغة العربية ، حتي لقد تسرف فى هذا الاتقان وتصطنع من الألفاظ والاساليب ما يصح أن تعاب به لأنه أدني الى التقعر منه إلى شيء آخر . صدقني فأنت أزهرى فى بعض الأحيان . وكم لى عليك من فضل أيها الصديق العاق . مازلت أعيب لغتك حتى اصبحت شيخا قحا ، . . . وقد ذكرت حين كتبت عن فصل الشعر والنثر فى السياسة الاسبوعية بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٢٧ : « انت لاتكتب إلا اضطرت قراءك إلى الثناء والاعجاب ، وانت لاتسمع ثناء ولا تحس اعجابا الا ازددت إجادة وأمعنت فى الاتقان . ولست ادرى إلى اين يذهب بك هذا الامعان في إجادة البحث واتقان التفكير والتوفيق إلى الجمال الفنى فيما تكتب . الخ» لعلى لم اخطىء اذ وضعت تحت نظرك هذه العبارات وما قد تذكر من مثلها لاوجه اليك شيئا من اللوم غير قليل . فمالك ياصديقى وكلنا نعرف دقة ذوقك الادبى ، لم توجه نظرى منذ تلك السنوات الطويلة إلى ماأتورط فيه من خطأ واضطراب فى الاسلوب يدنينى احيانا من الابتذال . لقد كان لى اثناءها متسع من الوقت لاوجه شيئا من الجهد اسلم به من هذا الذى لم تنهنى اليه إلا اليوم . اما ولم تفعل فلعلي لا أغلو ياصديقى اذا اتهمتك بأنك خدعتني كل هذه السنين وعبثت بى كل هذا العبث ، وتركتنى حتى تقدمت بي السن إلى حيث لايستطيع الانسان إصلاح ماأفسد الدهر .

أم أن الأمر ليس كذلك ياصديقى وأنك أنت قد ازداد ذوقك الفني دقة زادت نقدك اللغة والاساليب بأساً وشدة ، فأخرجنى ذلك من حظيرة رفقك وتسامحك . إن يكن ذلك فأنت جدير من أجله بكل ثناء ، جدير بكل تقدير على ما حباك الله بما كنت اود لو جاد علي ببعض منه .

ام انى كنت ياصديقى على ماوصفت فى سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ ثم عادت بضاعتى من اللغة العربية الى مثل ما كنت تذكر قبل خمس وعشرين سنة من قلة ، وعاد اسلوبي الى الاضطراب احيانا . ان يكن ذلك فلاحول ولاقوة الا بالله . وانالله وانا اليه راجعون .

فاما ان لم يكنه فلومى شديد اياك وعتبى عليك يقضى به عليك وفاؤك لصديقك ان تراجع كتبه كلها ما ظهر منها وما قد يظهر وان تزيل منها ماقد يكون فيها من اضطراب وخطأ فان لم تفعل وجهت اليك اليوم ماوجهت أنت الى فى سنة ١٩٢٦ من تهمة عقوق الصداقة وعدم الوفاء بما لها من حق .

أحسبك ستبتسم حين تقرأ هذه العبارة لأنك تعلم اني لا أضيق بأسلوبى ، ولا أجد به بأسا . ولعلك ياصديقى على حق . بل انك لعلى حق . فليكن اسلوبي ما يكون فلن ارضى به بديلا : فاسلوب الكاتب هو الكاتب . ولن أرضى لنفسى ان أكون الاانا . انا بما فى من حسن وقبيح . من خير وشر . من عرف ونكر . والحمد لله الذى جعلنى كما انا ، ولم يجعلني شرا مما انا . والحمدلله الذى جعل كثيرين ممن تناولوا كتابى هذا وغيره من كتبى يعجبهم اسلوبى اكثر مما اعجبك ياصديقى .

ومالى اضيق باسلوبي ولم اتخذ الادب يوما صناعة ولا انا توفرت على دراسة الادب . انما انا رجل درس القانون ودرس الاقتصاد والسياسة ومال الى قراءه الفلسفة والادب لا الي دراستهما دراسة انقطاع وتمحيص ، وطبيعى ان يكون اسلوبي اسلوب الذين درسوا القانون والذين يرون ان تؤدي المعانى بالفاظ لا تزيد عليها ولا تضيق بها ، والذين لا يعنيهم لذلك بهرجة اللفظ للفظ ، وقد زادني حرصا علي هذا الأسلوب انى رايت مثله موضع الاطراء من طائفة من كبار الكتاب والفلاسفة . وانت لاريب ياصديقى قد قرأت نقد «تين» لفلسفة كوزن فى احد الاجزاء الثلاثة من كتابه (رسائل فى النقد والتاريخ) ورايت كيف جعل من اشد ما آخذه به انه يطيل من حيث لاتقتضى الفكرة الاطالة ، وكيف جعل ينقل الصفحة الكاملة من كوزن فيضع فكرتها فى سطرين او ثلاثة أسطر. هذا والادب الذي أقرأ ينحو اليوم نحو هذا الاسلوب . فبعد ان كانت روايات روسو تقع فى خمسمائة صفحة او اكثر نزعت القصة شيئا فشيئا بأسلوبها الى الايجاز . لا فى وقائعها ، ولكن فى بهرجة الالفاظ التى تقص بها تلك الوقائع ، ولعل ميل العالم الحاضر الى السرعة فى كل شيء هو الذى عفى على الاطالة ، فمل الاستماع الي الأشخاص الذين يعجبون بالاستماع الى كلامهم حين يتكلمون فيطيلون القول لتطول لهم لذة هذا الاستماع، ومل قراءة الاشخاص الذين يعجبون بالفاظهم حين يكتبون فيطيلون رسائلهم وكتبهم ، لعل هذا الميل الى السرعة هو الذى مال حتى بالادب الى اسلوب

القانون، وهو الذي جعل الذين درسوا القانون في فرنسا وفي مصر وفي كل أمة من الامم يجددون في الاساليب كما يجدد فيها الذين توفروا على دراسة الادب، او أكثر مما يجدد فيها هؤلاء في بعض الاحايين، والفن الحديث هو الآخر ينحو هذا النحو، فالبساطة والقوة هما اليوم اساسه، ويخيل الى ان اسلوب هذا الفن واسلوب الأدب واسلوب القانون قد اتفقت اليوم وقد نفت الزخرف للزخرف، وأصرت على ان يكون اللباب هو الاساس في اساليبها جميعاً. اللباب الذى يعطي القطعة الفنية طابعها والذى يقيم نظريات القانون ويحقق رسالة الادب، اللباب الذي يقف من هذه جميعا كالبيت المشيد من غير حاجة الى ما تعودته القرون الماضية من زخرف عصور الرومانتسم ومن زخرف الكلاسيك انفسهم. ولعلك توافقني ياصديق على هذا ولا ترى رايا غيره، وان كان الخلاف بيننا على اللغة وعلى الاسلوب قديما. فقد درجت انت من ازهريتك التى اشرت اليها الي اسلوبك الجديد، وجاهدت انا ما استطعت الجهاد حتى وصلت الى ما انا اليوم

لكنى أعترف ياصديقي بأنك على حق حين آخذتنى بأنني أسرع فيفوتنى لذلك التحقق من بعض الشؤون، وانك وقعت على هنة ما كان يجوز لى أن أقع فيها حين اردت أن أذكر الاوديسا فذكرت الانياد. واذا ذكرت لك انني انا الذى قمت بتصحيح تجارب الكتاب فقرأته عدة مرات قبل طبعه، رأيت أنى أكبر جريرة. لكنى اختلف وإياك، وإن كنت لا أحسب ذلك خلافا فيما ذكرت عن لابروبير وموليير. فما أشك في أنهما تأثرا بكتاب اليونان ممن ذكرت ومن تعرف أكثر مما أعرف لأنك درستهم دراسة خاصة. ولكنني إنما أردت أن موليير ولابروبير لم يتخذا من تاريخ اليونان والرومان إطار أدبهما كما فعل راسين وكورني. بل اتخذا الحياة المحيطة بهما وتأثرا بها إطار أدبهما. وهذه خطوة فى التحرر من آثار اليونان والرومان مهدت للخطوات التى بعدها. فان تكن إشارتك ياصديقي الى طائفة من الخطأ تأخذ به كتابى انما هى الى خطأ من هذا النوع، فلعله لا يكون خطأ. ولعلنا نستطيع أن نتفق عليه اتفاقنا على أكثر ما فى كتابي من آراء، وليس شيء أحب الى من أن أتفق واياك وان كنت أجد فى اختلافنا لذة لا أجدها فى خلاف يقع بيني وبين أحد غيرك.

وقد لاحظت يا أخي أن اشتغالى المتصل بالسياسة قد أثر فى تصورى الاشياء وفى حكمى عليها بعض الشيء وذكرت لذلك مثلين: أحدهما انى اسرفت حين اسأت الظن بما يكتبه الاوربيون عن حياتنا الادبية بينما انت تظن ان «جب» وامثاله لا ياخذون السياسة واهواءها مقياساً لدراساتهم الأدبية. والثاني انى اسرفت حين أحسنت الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج واني انما فعلت ذلك لارضى المصريين والشرقيين فى الأدب كما افعل فى السياسة. وانك أنت ترى هذا شرا لانه تغيير للحقائق العلمية ارضاء لمصر والشرق، والحقائق آثر عندك من أى شيء ومن أي انسان. وانني لأؤكد لك صادقا ان الحقائق العلمية آثر عندى انا ايضاً من كل شيء ومن كل انسان. واذا كان اشتغالى المتصل بالسياسة قد اثر فى تصورى الاشياء وفى حكمى عليها فانما كان أثره أن زادنى تقليبا للاشياء، وامتحانا لها وتعمقا فى بحث ما تنطوى عليه وما ترمى اليه، وأنا معك فى أن «جب» وأمثاله لا يتخذون السياسة وأهواءها مقياسا لدراساتهم الأدبية. لكن دراساتهم هذه، ودراسات الكثيرين منهم على الاقل، يقصد بها أكثر الأمر الى تنوير الساسة من أهل بلادهم، والى اطلاعهم على عنصر من عناصر حيوية الشرق هو فى رأيهم، وهو في الواقع، أجل هذه العناصر خطراً. فاذا كانت الاهواء السياسية ليست هي التى توجه دراساتهم فدراساتهم يقصد بها فى كثير من الاحيان الى خدمة هذه السياسة وإن قصد بها كذلك الي أغراض علمية بحتة. وما أحسبك تخالفنى ياصديقى فى أن كتاب «وجهة الاسلام» الذى الفه خمسة من كبار المستشرقين المشتغلين بالادب الحديث في بلاد الشرق المختلفة إنما هو كتاب سياسى مداه بحث ماوصلت اليه أوربا مما يسميه الاستاذ «جب» تغريب الشرق، وما يرجى لهذا «التغريب» فى المستقبل من نجاح وانا لا أعيب هؤلاء العلماء المحترمين بهذا بل أحسدهم عليه أعظم الحسد. فهم به يخدمون أوطانهم ويخدمون العلم ويخدمون الحقيقة من ناحية سياسة بلادهم ومن ناحية الحضارة الغربية التي يريدون أن تظل المدنية الحاكمة فى العالم. وهذه الخدمة الجليلة التى يقومون بها لأوطانهم وللعلم ولحضارتهم حقيقة علمية يسّر لي اشتغالي بالسياسة الوقوف عليها. ولو أنك انقطعت للسياسة ياصديقي انقطاعي وأفنيت من تفكيرك فيها ما أفنيت انا لوافقتني على هذه الحقيقة ولم تتهمنى بالاسراف اذ علمتها. وما ذكرت انا فى مقدمة (ثورة الأدب) عن الحضارة التي نعمل جميعا لبعثها، وهل هى حضارة اسلامية، ام حضارة عربية، واهتمام بعض الطلاب والطالبات الاوربيين برأينا فى ذلك وحرصهم على اقناعنا بأنها حضارة عربية، وليست حضارة اسلامية، اذا صدقوظني، ففيه جانب من السياسة يعادل ما فيه من جانب البحث عن الحقيقة العلمية.

اما اني اسرفت متأثراً باشتغالى المتصل بالسياسة فى حسن الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج فأحسب صديقى يوافقنى على انه اذا زالت عوامل الفتور والضعف مما اشرت اليه فى تضاعيف كتابي لما كان فيما قلت شيء من الاسراف. وإذا جاء اليوم الذي ينفسح فيه عندنا ميدان العلم وتزول كل العوائق التى تقف اليوم فى سبيله، والذى تتقرر فيه حرية العاطفة وحرية الحس وحرية الأدب، والذي يبعث فيه تراث هذا الشرق العظيم، والذي يكثر فيه المتعلمون تعلما صحيحاً منا كثرة تسمح بالتخصص في الأدب والانقطاع لفرع من فروعه، يومئذ يكون القول بقصورنا في الخيال وفي القوة على الانتاج تجنياً على هذه البلاد وعلى الحقيقة، هذا إلا ان تكون ياصديقى من الذين يقولون بان الاوربيين ينتمون إلى الجنس الآري، وهم لذلك ارقى منا ونحن ننتمى الى الجنس السامى بالطبع. وما احسبك تقول بهذا او تعتبره حقيقة كما يود بعض العلماء فى اوربا اعتباره، بل احسبك ترى هذه حقيقة سياسية يراد بترويجها تغريب الشرق والقضاء عليه بأن يبقى خاضعاً للغرب الى الابد.

واختم رسالتى هذه اليك ياصديقى بشكرك شكراً لاحد له وبان اشير عليك ان تقرأ كتيباً صغيراً كتبه بول جيزل Paul Gsell عقب وفاة اناتول فرانس عنوانه Propos Anatole France لترى ما ذكر فيه عن موليير وشكسبير وغيرهما من كبار الكتاب وما قاله بعض النقاد فيهم. واذا كنت انت أكبر من هؤلاء النقاد، وكنت أنا لاشيء إلى جانب هؤلاء الكتاب الذين خلقهم القدر اعلاما فى حياته الانسانية بل فى حياة الوجود كله فان فيما قرأت أنا من ذلك ماعزانى عن اسلوبى، وعن بعض ما أخذت على بحق من هنات أؤكد لك أنى سعدت بتنبيهك اليها اكثر ما سعدت بثنائك على. افليست الحياة جهاداً متصلا نحو الكمال، كل فى حدود ما يطيق، وهل للكمال سبيل الا المجهود المتصل والتهذيب الدائم لهذا المجهود، وتشذيب ما يند عن الطريق السوى فيه حتى لانتساق وراء الشذوذ فنضل الطريق السوى. وهذا فضل لك جديد اضيفه الى سابق افضالك على وارجوك ان تعتقد انى دائما

صديقك الوفى المخلص

محمد حسين هيكل

(خطأ مطبعي) ورد فى صفحة ٢٦ (لتسكن) و(المظنونة) وصوابهما لتكون والمظنون

من طه الى هيكل

« بقية المنشور على صفحة ٥ »

كرهت ذلك واكتفيت بالاشارة. فأما وانت لاتحب الاشارة ولا ترضى الا التصريح. فأذن لى في ان اضع يدك على طائفة من مواضع الضعف لافى ثورة الادب بل فى هذا الكتاب القيم الذى ترد به على في الرسالة اليوم وفي السياسة بعد غد.

فانت تقول في هذا الكتاب « ولست اخفيك » ولعلك توافقني على ان الخير فى ان تقول « ولست أخفى عليك » وانت تقول « ويرى انها ماتزال لما نهدأ » ولعلك توافقنى على أن لما هنا ثقيلة جدا مفسدة للاسلوب لوقوعها هذا الموقع النابي بين فعلين. وانت تقول « اذوضعت تحت نظرك هذه العبارة » ولعلك توافقنى على ان تحت نظرك هذه قريبة جدا الى الابتذال. وانت تقول « لن ارضى لنفسى ان أكون إلا أنا ». ولعلك توافقنى على أن الصواب الا اياى.

ومثل هذا كثير ايها الصديق العزيز فى هذا الكتاب وفي ثورة الادب. ولعلك ترى ان الخطأ والابتذال شيء، وان البساطة والايجاز والقوة شيء آخر. وانك تستطيع - ان اردت - ان تكون بسيطا موجزا قويا دون ان تخطىء او تدنو من الابتذال.

اما بعد فقد اعجبنى منك ايها الصديق انك سجلت فى كتابك على ثنائى عليك كله تسجيلا. فغيم كان هذا التسجيل؟

اخائف انت ان انساه؟ وكيف انسى ماسجلت المطبعة؟

اخائف انت ان انكره؟ فثق بأني قد اثنيت عليك صادقاً وما تعودت أن اعطى باليمين وأسترد بالشمال؟ بعض هذا المكر وبعض هذا الدهاء. فالأمر بينك وبيني ارفع من المكر وأمتن من الدهاء، وأوضح من ان يحتاج الى التسجيل والتشديد فى الحساب.

اما بعد فهل تأذن لى فى ملاحظة يسيرة جداً كنت اود لو لم احتج اليها، ولكن حياة الأدباء فى هذه الأيام تضطرنى اليها. كم احب للأدباء الا يضيقوا بالنقد وألا يحفلوا بالرد عليه الا ان تدعو الى ذلك حقيقة علمية لاينبغى اهمالها، فماذا يعنيك ان يحسن رأى الناس او يسوء فى اسلوبك، فان كان هذا يعنيك او يؤذيك فالخير فى ان تجعل هذا سراً بينك وبين نفسك لا ان تعلنه الى الناس.

وأنا ارجو أيها الصديق العزيز ان تقبل منى تحية كلها الحب والاعجاب.

طه حسين

بعض مطبوعات

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

تطلب من مركز اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ تليفون ٤٢٩٩٢ ومن . المكاتب الشهيرة

ص

١٠ مبادىء الكيمياء الجزء الاول) للدكتورين أحمد زكي وأحمد
١٠ « « « الثاني) عبد السلام الكرداني
١٢ الكيميا الحديثة للسنة الخامسة الثانوية للاستاذ أمين ابراهيم كحيل
٢٠ مبادىء الميكانيكا للسنتين الرابعة والخامسة الثانويتين للدكتور أحمد عبد السلام الكرداني والاستاذ حسن الجندى
١٦ بسائط الطيران للدكتور احمد عبد السلام الكردانى
٧٥ البصريات الهندسية والطبيعية للاستاذ مصطفى نظيف
١٠ موجز التاريخ الطبيعي في علم الحيوان — مقرر السنة الرابعة الثانوية للاستاذ محمد كامل
٢٠ تاريخ الأدب العربي للاستاذ أحمد حسن الزيات (طبعة رابعة)
٢٥ فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين
٢٠ تاريخ اللغات السامية للدكتور اسرائيل ولفنسن
١٥ مرجريت أو غادة الكاميليا ترجمة الدكتور أحمد زكى
١٥ آلام فرتر ترجمة الاستاذ أحمد حسن الزيات
١٥ رفائيل « « « « « «
١٢ فاوست ترجمة الدكتور محمد عوض
٥ هرمن ودروتية ترجمة الدكتور محمد عوض
٧٠ الشاهنامة للدكتور عبد الوهاب عزام
٥ الحاج شلبي للاستاذ محمود تيمور
١٠٠ شرح قانون العقوبات للاستاذ أحمد بك أمين
١٥٠ القضاء الجنائى جزءان للاستاذ على العرابى
٥٠ عقد الايجار للدكتور عبد الرازق أحمد السنهورى
١٥ الامتيازات الاجنبية للاستاذ محمد عبد البارى
١٠ مبادىء الفلسفة ترجمة الاستاذ أحمد أمين
١٥ فلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين

١٠٠ علم الأخلاق (لأرسطو) ترجمة الاستاذ أحمد لطفى السيد بك
٢٠ كتاب الأخلاق للأستاذ أحمد أمين
١٤ كتاب الأخلاق للمدارس الثانوية للأستاذ أحمد أمين
٢٠ كتاب الأخلاق لسميلز ترجمة الأستاذ محمد الصادق حسين بك
٢٠ أصول التربية جزء أول
٢٠ أصول التربية جزء ثان
٣٠ أصول علم النفس جزء أول
٢٥ أصول علم النفس جزء ثان
} للأستاذ أمين مرسى قنديل
١٠ كتاب الحرية والدولة للاستاذ محمد عبد البارى
١٥ الانتصار في الرد على ابن الراوندى تأليف ابن الخياط
٤٠ الكون والفساد لأرسطو ترجمة الاستاذ أحمد لطفى السيد بك
٢٠ فجر الإسلام طبعة ثانية
٢٠ ضحى الاسلام الجزء الاول
} تاليف الاستاذ أحمد أمين
٢٥ القرن التاسع عشر للدكتور حسين حسنى والأستاذ محمد قاسم
٤٠ فتح العرب لمصر لبتلر ترجمة الأستاذ فريد أبو حديد
٢٥ المسألة المصرية لروثستين ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى والأستاذ محمد بدران
١٠ الثورة الفرنسية للاستاذ حسن جلال
٨ صلاح الدين وعصره للاستاذ محمد فريد أبو حديد
١٥ تاريخ اليهود فى بلاد العرب للدكتور اسرائيل (ولفنسن)
١٥ تاريخ العصور الوسطى للاستاذ محمد فريد ابو حديد
٣٥ ديوان التحقيق (محاكم التفتيش) والمحاكمات الكبرى للاستاذ محمد عبد الله عنان
٢٥ أسباب الحرب العالمية ترجمة الأستاذ محمود ابراهيم الدسوقى
٤٨ سلسلة الجغرافية الحديثة ٥ أجزاء لخمسة من كبار الاساتذة
٢٠ حياة نابليون للاستاذ حسن جلال
٣٠ نهر النيل للدكتور محمد عوض

﴿ طبع بمطبعة مصر الحديثة المصورة ﴾